

ملاح عربية إسلامية
في الأدب الألباني

د. محمّد م. الأرنؤوط

ملاح عربيّة إسلاميّة
في الأدب الألباني
دراسة

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق - سورية

حقوق الطبع والترجمة والاقبّاس
محفوظة لانتجاد الكتاب العربّ

تصميم الغلاف : دعد وقاف

مقدمة

يجد القارئ في هذا الكتاب بعض الدراسات التي تجمعت هنا للمرة الأولى والتي يجمعها محور واحد ، المؤثرات العربية في الأدب الألباني ، يعكس بطبيعة الحال أحد أوجه الصلات الأدبية العربية - الألبانية . وربما لا يحتاج الأمر الى توضيح بأن هذه الصلات الأدبية هي امتداد للصلات التاريخية التي ربطت بين العرب والألبانيين خلال القرون الماضية .

وفي الحقيقة ان هذه المؤثرات كانت انعكاساً لعملية التلاقح الثقافية الكبرى التي امتدت عدة قرون خلال وجود الامبراطورية العثمانية ، والتي شملت الآداب العربية والتركية والفارسية والألبانية والكردية الخ . وقد صدرت حتى الآن عدة كتب ، سواء في اطار ((الأدب المقارن)) او في اطار ((الأدب الاسلامي)) تتناول الصلات بين هذه الآداب بشكل عام او تركز على الصلات بين اديين او اكثر ، او تتركز على المؤثرات العربية في كل ادب على حده ، كالادب التركي والادب الفارسي . وبهذا الكتاب نأمل ان تتكامل الصورة اكثر وان ينفتح المجال بشكل اوسع لاجراء دراسات مقارنة أخرى لرصد ماهو منتقل وماهو مشترك بين هذه الآداب .

أما فيما يتعلق بالدراسات الواردة في هذا الكتاب فلا بد من التوضيح أن بعضها كان قد نشر في اللغة العربية قبل عدة سنوات ، بينما كان بعضها الآخر قد كتب باللغة الألبانية وبقي في هذه اللغة حتى الآن .

وفي الواقع إن تسلسل هذه الدراسات يكشف بشكل ما طبيعة الملامح العربية في الأدب الألباني . فمع عملية التلاقح الثقافية الكبرى برزت في الأدب الألباني ، سواء في الأدب الشعبي أو في الأدب الفردي ، شخصيات كثيرة تعبر عن التغييرات الكثيرة التي طرأت على تراث الألبانيين بعد اعتناق الإسلام والتعايش الطويل مع الشعوب الشرقية في إطار الدولة الواحدة « الامبراطورية العثمانية » . ومن هذه الشخصيات الكثيرة اخترنا هنا ثلاث دراسات بحيث تتناول الأولى جحا العربي في الأدب الألباني مع مقارنة بمثيله العربي ، وتتناول الدراسة الثانية الشخصيات الكربلائية في إحدى الملاحم الألبانية المعروفة بعد أن أصبحت كربلاء تلهم الكثير من الأعمال الأدبية في اللغة الألبانية ، بينما تتناول الدراسة الثالثة شخصية معروفة « أروى » ذات حضور مميز في الأدبين العربي والألباني .

وإذا كانت هذه الشخصيات ، والمؤثرات الكثيرة الأخرى ، تعبر عن مرحلة طويلة من التعايش والتداخل بين شعوب وآداب المنطقة الواسعة الممتدة داخل الدولة العثمانية ، فإن هذه المرحلة قد أرسى الأسس على كل حال للمرحلة اللاحقة التي بدأت في مطلع القرن العشرين بعد أن استقلت هذه الشعوب في دول قومية . وهكذا فإن المرحلة الجديدة تتسم بوجود موتيفات كثيرة عوضاً عن الشخصيات السابقة ، التي قامت في السابق بدورها في تعزيز التواصل الروحي

والثقافي بين هذه الشعوب • وفي الواقع ان هذه الموتيفات ، التي
تعكس الآن استمرار الاهتمام بما يحدث لدى الطرف الآخر ، تكاد
تتحول الى مشاركة خاصة في اللغة الأخرى • وهكذا فالموتيفات
الجزائرية خلال تصاعد الثورة الجزائرية تكاد تتحول الى « شعر
جزائري » في اللغة الألبانية ، كما هو الأمر أيضاً مع الموتيفات
الفلسطينية في الشعر الألباني حيث يكاد يظهر « شعر فلسطيني »
في اللغة الألبانية • ومن هنا فقد كان من الطبيعي أن نخص الموتيفات
الجزائرية في الشعر الألباني بدراسة هنا ، وأن نخص الموتيفات
الفلسطينية بدراسة أخرى ، إذ انهما تعبران بشكل أفضل عن هذه
المرحلة •

ومن ناحية أخرى فقد آثرنا أن نصنيف أخيراً دراسة تبين غزارة
المفردات العربية في الأعمال الأدبية الألبانية ، واخترنا لذلك نموذجاً
متأخراً يعكس مدى استمرار هذه المفردات في الأدب الألباني ومفرد
وجودها في هذا الأدب •

وأخيراً لا بد أن نشير الى أن هذا المحور ، المؤثرات العربية في
الأدب الألباني ، اوسع بكثير من الدراسات التي تمثله في هذا الكتاب ،
ومن هنا نأمل ان يتاح لنا الوقت لنشر دراسات جديدة في طبعة
أخرى •

محمد • الارناؤوط

جحا المعزني وجحا الألباني

يتميز الألبانيون عن غيرهم من شعوب البلقان بأنهم احتفظوا لجحا اسمه العربي بالإضافة الى الاسم الآخر الذي شاع هناك ، أي نصر الدين ، في النوادر التي يتناقلوها . وفي الواقع يُعتبر البلقان أغنى منطقة في أوروبا بنوادر جحا أو نصر الدين ، وهو لا يزال الى اليوم شخصية حية اذ تتردد نوادره في الحياة اليومية ، في اللحظات العابرة خلال النهار وفي السهرات الطويلة خلال الليل ، وتطبع نوادره باستمرار في مختلف اللغات البلقانية وتعدّد حولها الدراسات المختلفة . وربما لا يشير هذا الاستغراب إذا أخذنا بعين الاعتبار التداخل والتعايش الطويل الذي استمر حوالي خمسة قرون بين شعوب البلقان وبين شعوب الشرق « الأتراك ، العرب ، الفرس ، الأكراد وغيرهم » التي كانت تحتفظ باحتياطي كبير من هذه النوادر .

ولكن نظرا لقيام الأتراك العثمانيين بدور الوسيط بين هذه الشعوب فقد انتشرت هذه النوادر باسم بطلها التركي نصر الدين ، بينما بقي اسم البطل الأصلي لجحا يتردد في بعض المناطق فقط . وكما فعل الأتراك العثمانيون ، حين أخذوا الأصل وأضافوا اليه الكثير من ذاتهم ونوادرهم ، فقد أخذ جحا أو نصر الدين يتعدد بتعدد

الشعوب التي تنسجم معه وتأخذ به كرمز للفكاهة . وهكذا بعد أن كانت سبع مدن في الماضي تتنازع حول موطن الشاعر هومير ، إذ أن كل مدينة كانت تدعي أنها موطنه ، نجد الآن أن حوالي ثلاثين شعباً يتنازعون حول أصل جحا أو نصر الدين وأصل نوادرهما إذ أن كل شعب يدعي أنه الموطن الأصلي لهما أو لنوادرهما .

وفي الواقع كان الفضل يرجع الى المستشرق الفرنسي رينيه باسيه R. Basset الذي نشر قبل مئة سنة تقريباً ، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أبحاثه الرائدة التي بين فيها الأصل العربي « جحا » لنصر الدين ^(١) . وقد أثارت هذه الدراسات الرائدة للمستشرق باسيه العساء ما بين مؤيد ومعارض . مما أثار هذا عن دراسات كثيرة ومهمة فتحت المجال بدورها لدراسات مقارنة في مستويات متعددة . وهكذا لا بد أن نذكر على صعيد البلقان اسهام المستشرق اليوغسلافي فهيم بايراكتاروفيتش Fehim Bajraktarevic مشكلة نصر الدين ^(٢) ودراسة الباحث اليوغسلافي ايفان شوب Ivan Sop ^(٣) ثم اسهام المستشرقين السوفييت الذين وسعوا كثيراً أفق هذه القضية وخاصة خاريتونوف Haritonov في كتابه « ٢٣ نصر الدين » ^(٤) وغيرهم .

وفي هذا الاطار قد تتضح الآن بشكل أفضل أرضية هذه الدراسة . فالألبانيون في هذه الحالة ليسوا إلا أحد الشعوب الكثيرة في العالم ، وبالتحديد في آسيا وشمال أفريقيا وجنوب أوروبا ، التي تحتضن هذه الشخصية والتي أفرزت بدورها شخصيتها الخاصة . ولكن بالمقارنة مع غيرهم من شعوب البلقان : أو أوروبا الجنوبية ، يتضح أن

الألبانيون هم الشعب الوحيد الذي يحتفظ لهذه الشخصية بالاسم الأصلي «ججا» والاسم الشائع «نصر الدين» . وفي الواقع ان هذا يعود الى الظاهرة الخالصة بالألبانيين ، ألا وهي انتشارهم الواسع في اوربا الجنوبية من صقلية الى استنبول . فمع قدوم الأتراك العثمانيين الى البلقان وصدامهم مع الألبانيين ، وخاصة بعد نهاية المقاومة الطويلة التي قادها زعيمهم المعروف أسكندر بك (٥) ، غير عدد كبير من الألبانيين البحر الأدرياتيكي واستقروا في مناطق واسعة في جنوب إيطاليا «كابريلايا وصقلية» حيث لا يزالون الى اليوم قومية متماسكة (٦) . ومع ان هؤلاء الألبانيين ، أو الاربريشي كما يعرفون الى الآن (٧) ، يحافظون هناك على تراثهم الشعبي الأصلي الا انهم أخذوا بعض النوادر رباسم بطلها العربي ججا التي كانت قد انتقلت من شمال افريقيا الى صقلية . ومن ناحية أخرى فقد بقي معظم الألبانيين في موطنهم ، الذي اصبح لعدة قرون جزءا من الدولة العثمانية ، حيث أخذوا كثيرهم من الشعوب النوادر التي تحمل اسم نصر الدين Nasredin

وعلى كل حال ان الهدف من هذه الدراسة هو تمييز النوادر الشائعة عند الألبانيين سواء التي ترد بناسم ججا او نصر الدين ، للتوصل الى الاصل العربي لها . وفي الواقع ان الاصل العربي لهذه النوادر ((الألبانية)) لا يمكن تحديده ببساطة نظرا للطرق المختلفة التي تسلكتها . فقد تعرفنا حتى الآن على طريقين رئيسيين لتتقل هذه النوادر من موطنها الأصلي الى مجالها الألباني الجديد : من المشرق عبر آسيا الصغرى الى البلقان ، ومن المشرق الى شمال

افريقيا فصغلية . وبالإضافة الى هذين الطريقين لدينا أيضاً الطريق المباشر . فقد كان للالبايين وجود عسكري كثيف في البلاد العربية ، وخاصة في المشرق وشمال افريقيا ، ثم أصبح لهذا الوجود شكل جالية قوية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وبالإضافة الى هذا فقد كان الالبايون يترددون كثيراً الى المناطق العربية بغرض الحج والدراسة والتجارة (٨) . وبفصل هذه الحركة الدائمة العسكرية - المدنية لا بد أن يكون قد انتقل شيء من النوادر بشكل مباشر من الوسط العربي الى الوسط الالباني .

ولكن الالبايين ، كغيرهم من شعوب البلقان ، لم يكتفوا بالنوادر الأصلية كما وصلتهم بل عدلوا قليلاً في بعضها وأضافوا على بعضها الآخر شيئاً من ذاتهم ونفسياتهم ، كما أبدعوا نوادر جديدة على النمط نفسه باسم جحا أو نصر الدين . ولا شك أن ظروف الحياة الاجتماعية المتشابهة ، ووجود الدولة الواحدة بمؤسساتها الواحدة ، قد ساهم في سرعة تقبل هذه النوادر التي كانت تعبر عن وضع اجتماعي متشابه أو تمس مؤسسة من مؤسسات الدولة الواحدة « القضاء ، الحكم الخ » أو في بقاء النوادر على حالتها الأصلية . إلا أن نمطية هذه النوادر ، التي فرضت نفسها ، قد شجعت الالبايين وغيرهم من الشعوب على إبداع نوادر جديدة باسم البطل نفسه تمثل هذه النمطية الشائعة . ومن الطبيعي أن هذا لم يكن ينفي إمكانية إبداع بعض النوادر التي تتميز بلون الباني ، أو بشيء ما يعبر عن هوية الشعب الذي أبدعها .

وتجدر الإشارة هنا الى أن عدد النوارد الألبانية التي تنسب الى جحا أو نصر الدين تفوق المئة . وفي الحقيقة إن الاهتمام بهذه النوارد، أي تسجيلها ونشرها ، قد بدأ في وقت متأخر ولم ينته حتى الآن مما يعني أن بعض النوارد قد فقدت . وهكذا فقد طبعت بعض نوارد جحا لأول مرة سنة ١٩١٣ في كتاب عن الأدب الشعبي في صقلية ^(٩) ، ثم في كتاب « الفولكلور الألباني » الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٧٢ ، حيث ورد فيه ٦٤ نادرة باسم نصر الدين . وأخيراً في كتاب « النثر الشعبي في درينيسيا » (يوغسلافيا) حيث ورد فيه ٤٦ نادرة لنصر الدين ^(١٠) . وفي الواقع ان هذا العدد ليس بقليل فيما لو عرفنا أن مجسوع النوارد التي سجلت لجحا أو نصر الدين لدى مختلف الشعوب تصل الى حوالي الألف تقريباً ^(١١) .

وبالاستناد الى ما تقدم يمكن أن نصنف النوارد الألبانية التي تهمننا هنا الى عدة أقسام :

من حيث الاسم :

- ١ - نوارد تحمل اسم البطل العربي جحا
 - ٢ - نوارد تحمل اسم نصر الدين
 - ٣ - نوارد لجحا أو لنصر الدين دون أي اسم أو باسم آخر .
- من حيث الأصل :

- ١ - نوارد ذات أصل عربي واضح
- ٢ - نوارد ذات أصل تركي أو آسيوي
- ٣ - نوارد ذات أصل محلي أو الباني .

وفي هذه المناسبة سنكتفي هنا بتتبع الأصل العربي للنوادر الألبانية الشائعة ، التي تحمل اسم جحا أو نصر الدين ، وتعرض من جهة أخرى الى نساذج من النوادر الألبانية اللاحقة التي تعتمد أيضاً على اسم جحا أو نصر الدين وتعبّر عن الوسط الألباني بطريقة ما .

وهكذا لدينا من النوادر التي حافظت على اسم جحا وعلى ملامحه العربية الأصلية واحدة من صقلية . وبالتحديد من الأدب الشعبي الألباني هناك . وعلى الرغم من التعديلات التي طرأت على النادرة المعروفة لدى الألبانيين هناك إلا انها لم تبتعد عن الأصل الذي كان شائعاً عند العرب . ففي النادرة المروية عند الألبانيين نجد أن والد جحا يخبر ابنه بانهم سيذهبون ويأكلون « الديك الذي يعني » وفي اليوم التالي خرج جحا فشاهد رجلاً يعني فاعتقد انه الديك الذي يعني فضربه بحجر أصاب منه مقتلًا في الحال . وحين جاء والد جحا وشاهد ما فعل ابنه خشي على نفسه من هذه الورطة فأخذ القتل ورماه في البئر وألقى فوقه جلد كبش مذبوح . وهكذا عندما جاء بعد ذلك رجال السلطة يبحثون عن القتل في اكل مكان وصلوا الى البئر ورموا فيه شنكلًا ولكن لم يخرج معهم إلا جلد الكبش (١٢) .

أما الأصل العربي فلا يحتاج الى توثيق اذ انه ورد قبل عشرة قرون تقريباً في « مجسم الأمثال » و « حياة الحيوان الكبرى » السج . ويحدد الكوفة بالذات على اعتبارها المدينة التي شهدت هذه الحادثة - النادرة :

خرج ججا يوماً في الغلس فُعثر في دهليز منزله بقتيل ، فألقاه في شر
هناك . فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه ، ثم خنق كبشاً وألقاه في البئر .
ثم ان أهل القتييل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه فتلقاهم ججا
وقال : في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم ، فعدوا الى منزله
فأنزلوه في البئر ، فلما رأى الكبش ناداهم : هل لصاحبكم قرون ؟
فضحكوا منه وانصرفوا (١٣) .

وكما قلنا إن مقارنة النادرة العربية الأصلية مع النادرة الألبانية
يظهر بوضوح العلاقة بين الأب والابن ، وبالتحديد طابع الغفلة
أو التغافل الذي يسم به ججا في النوادر العربية الأصلية .

ولدينا باسم ججا نادرة أخرى تروي قصته حين اشترى
قطعة من اللحم وتركها في البيت وحين عاد إليها وجد أن الذباب
قد أتى عليها . وفي هذه الحالة ذهب عند القاضي ليطالب بحقه فما
كان من القاضي ، الذي أدرك فيه الغفلة ، إلا أن حكم له بأن يقتص
من الذباب بنفسه ، أي أن يقتل فوراً أية ذبابة يراها . وفي تلك
اللحظة رفع ججا يده وصنع القاضي صفقة قوية ارتجت لها قاعة
المحكمة ، فدهش القاضي وسأله عما فعله فأجابه ججا ببرود : لقد
وقفت ذبابة على خدك ياسيدي ونفنت حكمك فوراً . (١٤)

وفي الواقع ان طابع الغفلة أو التغافل ، الذي قد يتظاهر به
ججا ليتصرف كما يحلو له ، يذكرنا بتأدية مشابهة في المصاير العربية
تروي قصة ججا حين كان ماراً في السوق فجاءه رجل من خلفه وصفعه
صفعة شديدة . ولما التفت إليه ججا اعتذر إليه الرجل لأنه خيل إليه
ان ججا أحد أصحابه . إلا أن ججا أصر على أن يرفع الأمر للقاضي ،

— الذي كان صديقاً للرجل — حكم على الرجل أن يدفع عشرة دراهم جزاءً نقدياً وسمح له أن يخرج من المحكمة لكي يحضرها ، وهو بهذا كان يفسح له المجال للفرار . وهكذا انتظر جحا عدة ساعات وحين أدرك أنه ضحية خدعة تقدم من القاضي وصفعه صفعة قوية وقال : أيها القاضي إنني مشغول وليس لدي وقت للانتظار ، فأرجوك أن تأخذ الدراهم حين يأتي بها الرجل لأنني مستعجل (١٥) .

وهكذا يتمكن جحا في هاتين النادرتين من أن يصفع القاضي ، الذي يمثل على الدوام رمزاً سلبياً في هذه النوادر ، لعدم ارتياحه للحكم الذي أصدره له .

ولدينا في الواقع نوادر أكثر من هذا النوع ترد باسم نصر الدين ، بينما هي معروفة في مصادرنا العربية القديمة باسم جحا .

وهكذا لدينا واحدة من هذه النوادر تروي أن زوجة نصر الدين غضبت منه في إحدى الليالي فدفعته بقوة مسا أدى الى وقوعه من أعلى الدرج الى أسفله والى احداث ضجة كبيرة . وفي صباح اليوم التالي سأله جاره :

— ما هذه الضجة التي كانت لديكم البارحة مساء ؟

— لا شيء ، لقد اقلت زوجتي بقهيمسي من أعلى الدرج .

— وهل يحبث القهيمس جلبه كهذه ؟

— نعم لأنسي كنت بداخله (١٦) .

وفي الواقع إن هذه النادرة متطورة قليلاً عن الأصل الذي وردت فيه في المصادر العربية القديمة • فابن الجوزي يروي هذه النادرة في كتابه « أخبار الحمقى والمغفلين » على الشكل التالي :

عن أبي الحسن قال رجل لجحا : سمعت من داركم صراخاً ، قال : سقط قيصي من فوق ، قال : وإذا سقط من فوق ؟ قال : يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه (١٧) •

وهكذا فإن الفرق بين النادرين يكمن في قفلة النادرة فقط إذ أن طابع القفلة أوضح في النادرة العربية ، بينما يتحول هذا الى نوع من التعاقل في النادرة الألبانية •

ومن هذه النوادر لدينا واحدة أخرى تروي علاقة جحا أو نصر الدين مع ابنه • فالنادرة الألبانية نقول إن نصر الدين كان كلما يعطي ابنه الجرة ليسلأها له يضربه أولاً ، فقال له صديق في أحد الأيام :

— لماذا تضربه طالما لم يسيء ؟

— هل تريد أن تقول بأن أضربه بعد أن يكسر الجرة ؟ ما الفائدة من ضربه حينئذ ؟

ومع أن هذه النادرة شاعت في الجانب العربي باسم جحا إلا أنها وردت في المصادر العربية القديمة كـ « أخبار الحمقى والمغفلين » و « مضحك العبوس » على لسان أحد المعلمين المغفلين (١٩) • فقد ذكرها الجوزي في باب « في ذكر المغفلين من المعلمين » على هذا النحو :

ضرب معلم غلاماً فقيل له : لِمَ تضربه ؟ فقال إنما أضربه قبل
أن يذنب لئلا يذنب (٢٠) .

ولدينا من هذه النوادر أيضاً واحدة أخرى تتناول جانب
الفقعة فيه . فقد خرج نصر الدين في أحد الأيام الى السوق ليشتري
لحماً فقال له أحد أصحابه :

— من الأفضل أن تشتري كبدا فإنه الذ من اللحم .

— ولكن لا أعرف كيف أعده للأكل

— سأعلمك أنا .

وهكذا كتب له صاحبه طريقة أعداد الكبدة على ورقة لكي لا
ينسى ذلك . واشترى نصر الدين الكبدة وذهب الى البيت وأوقد ناراً
ولكن في تلك اللحظة حط على الكبدة غراب البين وخطفه فقال نصر
الدين :

— صحيح أنك أخذت الكبدة ولكن لنر كيف ستأكله لأن الورقة
معي (٢١) .

أما الأصل العربي لهذه النادرة فيتميز بالابحاز الشديد :

اشترى جحا يوماً لحماً فانقض عليه عقاب وخطفه وطار به ،
فنظر اليه وقال : يا شقي ، ومن أين لك خردل تأكله به ؟ (٢٢) .

وهكذا فإن التطويل والتفاصيل الجديدة والحوار الذي نبهنا
في النادرة الألبانية لا يغطي الأصل ، بل هو من الرتوش التي تلحق
النادرة حين تنتقل من شعب الى آخر ومن قارة الى أخرى •

ومن هذه النوادر لدينا واحدة منفرد عن غيرها بالحديث عن
زوجتين لجحا أو نصر الدين ، إذ ان النوادر الأخرى تشير في العادة
الى زوجة واحدة •

وتروى النادرة الألبانية على الشكل التالي :

كان لنصر الدين زوجتان وفي أحد الأيام اشترى خاتمين لهما
وقال لكل واحدة حين اعطاها الخاتم :

— لا تقولي للآخرين إنني اشتريت لك خاتماً !

وهكذا أَرْضَى نصر الدين غرور كل امرأة إذ اخذت تعتقد كل
واحدة أن نصر الدين يحبها أكثر من الأخرى • وفي إحدى انليالي
حين كانوا يتناولون العشاء خطر لهما أن تسألاه :

— نصر الدين ، أية واحدة تحب منا أكثر من الأخرى ؟

— تلك التي أعطيتها الخاتم (٢٣) •

ومع ان هذه النادرة تروي أيضاً في الجانب العربي باسم جحا ،
مع ان ما فيها يتناقض مع الغفلة ، إلا أن الأصل ينسب في الحقيقة الى
نصيب الشاعر • فقد كان نصيب متزوجاً من ام محجن وتزوج من امرأة
أخرى بعد أن صار غنياً ، فغضبت ام محجن ثم راضاها وأعطاها

دينارا لكي تعد غذاء لزوجته الجديدة ، كما أعطى زوجته الجديدة دينارا لكي تقدم هدية ما الى ام محجن ، ثم اتفق مع صاحب له أن يسأله أثناء الغذاء عن الزوجة التي يحبها أكثر من الأخرى . فلما سأله صاحبه قال الشاعر نصيب :

— سبحان الله أتسألني عن هذا وهما تسمعان .. أما اذا قلت فاحبهما الي صاحبة الدينار والله لأزيدك على هذا شيئا .

فأعرضت كل واحدة منها تضحك ونفسها مسرورة وهي تظن أنه عناها بذلك القول (٢٤) .

إن التطويل هنا ، أو الاختصار المطول ، مقصود لأنه يكشف مرة أخرى ان « الرتوش » التي تبدو بها الصورة الجديدة للنادرة بعد عدة قرون لا يمكن أن يضيع الأصل « النيفاتيف » العربي للنادرة . ومن ناحية أخرى ان هذه النادرة كما رأينا لم تنسب في الأصل لجحا ، التي تتميز نوادره الأصلية بطابع معين ، بل احقت به في وقت متأخر ولذلك فإنها لا تحل طابع الغفلة بل طابع الذكاء . ومن هنا فليس من الصدفة أن يذكرها ابن الجوزي في كتابه « الأذكياء » .

والى جانب هذه النماذج لدينا في الجانب الألباني نوادر أخرى لجحا ولكنها ترد دون ذكر اسمه الحقيقي « جحا » أو الشائع « نصر الدين » . ومن هذه النوادر لدينا واحدة بعنوان « اللحم والقط » . ففي أحد الأيام ، كما تروي هذه النادرة ، ذهب رجل الى السوق واشترى كيلو غرامين من لحم الضأن وأعطاها لزوجته

لكي تعدهما للغداء • نوبعد أن ذهب الرجل شوت الزوجة اللحم
وأكلته ، وحين رجع الرجل الى البيت قال لزوجته :

— ضعي لنا اللحم لكي نأكله •

— آه يا زوجي ، لقد أكله القط !!

— حسنا ، اجلبي لي القط لكي أزنه !

أمسكت الزوجة بالقط وحملته لزوجها ، وقام هذا بوزن القط

فوجده كيلو غرامين وقال حينئذ لزوجته :

— اللحم هنا ولكن أين القط ؟!

وفي الواقع ان هذه من النوادر الشائعة باسم جحا في الجانب
العربي ، وحتى ان قفلة النادرة أصبحت من الأمثال الشائعة في ليبيا
« ان كان هذا القط فأين اللحم ، وان كان هذا اللحم فأين القط (٢٦) ؟ »

ومن النوادر الأخرى التي يمكن ان تذكر هنا لدينا النادرة المعروفة
عن مسمار جحا ، تلك التي ألهمت بعض الشعراء والكتاب والمسرحيين
العرب على إبداع أعمال جديدة حتى في هذا القرن (٢٧) • وفي الواقع
لدينا في الجانب الألباني أكثر من نادرة متطوعة
عن الأصل العربي ، إلا ان المسمار المذكور يستبدل في كل واحدة
بشيء آخر يناسب أكثر الوسط الألباني • وهكذا تروي نادرة ألبانية
ان أحد القرويين باع حماره لقروي آخر في قرية أخرى ، وكان كلما
يذهب الى السوق الأسبوعي « البازار » يتوقف خلال طريقه في وقت
الغداء عند ذلك القروي ويسأله عن حماره ، ويبقى عنده الى أن

يتغذى • ولما مل صاحب البيت من هذا الضيف الثقيل عمد في ليلة السوق الأسبوعي الى ربط الحمار أمام باب البيت الخارجي ونام باطمئنان • وفي اليوم التالي جاء صاحب الحمار السابق وأخذ يطرق الباب ، فتظاهر صاحب البيت بأنه استفاق حينئذ من النوم وسأل :

— من يطرق الباب ؟

— أنا فلان •

— ماذا تريد ؟

— أريد ان اسالك عن الحمار •

— هاهو امامك فاسأله ! (٢٨) •

وإذا اعتبرنا أن هذه مجرد « رتوش » ألبانية لا تخفي الأصل العربي لهذه النوادر الشائعة عند الألبانيين سواء باسم جحا أو نصر الدين ، فإن القسم الآخر من النوادر تحمل في ملامحها جحا الألباني وهكذا فإن النمطية الجحوية التي شاعت لدى الشعوب البلقانية ساعدت الألبانيين أيضاً على أن يضيفوا شيئاً من عندهم الى هذا التراث الجحوي • وبعبارة أخرى ان هذه الاضافة تتعدى في هذه الحالة « الرتوش » التي شاهدنا بعض النماذج منها ، وتصل الى إبداع نوادر جديدة باسم جحا أو نصر الدين • وهكذا نجد في هذه النوادر أن الطابع الألباني أوضح ، حيث تبدو هنا النفسية والعقلية والسلوكية الألبانية وأسماء الأشخاص والأماكن والأطعمة الخ •

ومن هذه النوادر يمكن أن نختار هنا اثنتين نموذجيتين ، تتميز كل واحدة عن الأخرى في تمثيل نمط معين •

فالنادرة الأولى تحمل عنوان « نصر الدين في شكودرا » وهي تروي وصول نصر الدين الى مشارف هذه المدينة الألبانية العريقة التي يتميز سكانها بسعة أفقهم وسرعة بديهيتهم • وكان نصر الدين يبحث لنفسه عن مكان يستقر فيه ، وحين وصل مشارف المدينة وجد بعض الرجال فلسّم عليهم وأراد أن يجرب نفسه معهم ليعرف حظ هؤلاء الناس من الذكاء والمعرفة فسألهم : هل يمكن أن تدلوني على شيء أشتريه وأكل منه وأدع حماري يأكل منه ثم أعود وأبيعه لاسترد ثمنه ؟

أجابه أحدهم بسرعة :

— نعم ، يمكنك أن تشتري بطيخة •

وماذا أفعل بها ؟

— يمكن أن تعطي قشرها لحيارك ، وتأكل أنت بذرها وتبيع لبها فتستعيد بهذا ما دفعت لأجلها •

وهنا أدرك نصر الدين بسرعة أنه لا يستطيع أن يستعرض ذكاه مع هؤلاء الناس وأن يستقر بينهم ، فلسّم عليهم وقتل راجعاً (٢٩) •

ففي هذه النادرة تبدو بوضوح النزعة الشكودرانية ، نسبة الى شكودرا ، التي لا تخفى في بقية الابداعات الشعبية والتي تصور النزعة الفوقية لسكان هذه المدينة بالنسبة لغيرهم من الألبانيين وحتى لبقية العالم ، حتى انهم ضربوا المثل في ذلك : « ما يوجد في شكودرا لا يوجد في العالم » (٤٣٠)

ولدينا نادرة أخرى عن ججا الألباني ، إذا صح التعبير ، وبالتحديد عن ججا وزوجته * ففي أحد الأيام ، كما تقول النادرة ، اختلف نصر الدين مع زوجته حول من يسقي الحمار وافترقا على أن يسقي الحمار من يبادر أولاً للكلام مع الآخر * خرجت زوجته عند الجيران فوجدتهم يعدون « الطرخانة » (31) Trahane فدعوها للأكل وسألوها عن نصر الدين فأجابتهم انه في البيت لا يتكلم مع أحد ، ولذلك أرسلوا أحد الأولاد مع صحن من « الطرخانة » الساخنة * وحين دخل الولد الى البيت شاهد ججا متربعا لا يتحرك فسأله اين يضع الصحن فأشار اليه نصر الدين أن يضعه وراءه ، ولكن الوالد فهم من الإشارة أن يضعه فوقه * وهكذا دلق الولد صحن « الطرخانة » الساخنة فوق رأس نصر الدين إلا انه لم ينبس بشيء لكي لا يضطر للكلام * ولكن عندما جاءت زوجته ورأته على هذه الحالة صاحت : ماذا جرى لك يا نصر الدين ؟ فأجابها نصر الدين فوراً : هيا اسق الحمار ! (32)

وفي الواقع ان هذه النادرة تمثل نقدا ساخرا للعناد Inat أو للتعنت ، الذي يشتهر به الألبانيون * وهكذا فإن هذه النادرة تسخر من نموذج حي لهذا العناد أو التعنت حين يجر الشبث بقضية صغيرة الى التورط في قضية كبيرة * فججا الألباني هنا يفضل أن يستسلم لاندلاق « الطرخانة » الساخنة عليه من أن يبادر الى الوقوف والخروج لسقي الحمار !

وأخيراً لا بد من القول ان هذه مجرد محاولة أولية لفرز النوادر الألبانية سواء ما يرد منها باسم ججا أو نصر الدين ، ولذلك فهي لا تحصر هنا كل النوادر بل تقدم منها نماذج فقط *

الهوامش

(١) كتب المستشرق باسييه دراسته الأولى ((أبحاث حول سي

جحا وحول النوادر التي تنسب له

Rechershes sur Si Djeha et les anecdotes qui lui sont attribuees

تمقدمة للترجمة الفرنسية التي تضمنت ستين نادرة قبائلية من شمال
أفريقيا حول ((سي جحا)) :

A. Moulierasov, Les fourbeies de Si Djeha, contes Kabyles
Paris 1892 .

وقد توسع بلاسييه بحثه هذا ونشره سنة ١٩٠٠ في دراسة بعنوان

((أسهام حول تاريخ نوادر نصر الدين خوجة)) :

Contribution e L'histoire du sotiser de Nasr Eddin hodja.

(2) Fehim Bajraktarevic, Naserdin - hodzin problem, Prilo-

zi za knjizevnost, jezik, istorju i folklor, knj. xiv, beograd 1934
95- 102.

(3) Ivan Sep , Naserdinove metamorfze, Beograd 1973.

(4) M.S.Haritoniv, Dvascat, tri Naserdina, Moskva 1978.

(٥) للتوسع حول هذه الشخصية ومغزى الدور الذي لعبته

انظر:

د . محمد موفكو ، اسكندر بك الألباني - الرجل الذي أوقف
مد الاسلام الى أوروبا ، العربي عدد ٢٩٢ ، الكويت آذار ١٩٨٣
ص ١٤٥-١٤٠ .

(٦) يقدر عدد الألبانيين هناك بحوالي ربع مليون ، وهم ينتمون
بمدارس وجرائد وفروع جامعية في اللغة الألبانية . وحسب آخر
الدراسات الميدانية يبدو أن أكثر من خمسين قرية وبلدة لا تزال
تتحدث الألبانية ، بينما تلاشت هذه اللغة في أربع وأربعين قرية أخرى
في إيطاليا الجنوبية :

Gjovalin Shkurtaaj, Shpinti i anbrit rrom, Tirane 1984.

(٧) كان ((الألبريش)) هو الاسم الذي يعرف به الألبانيون في
القرون الوسطى ، أي في الوقت الذي هاجر فيه الألبانيون الى إيطاليا
ولذلك بقوا يعرفون بهذا الاسم حتى الآن . للتوسع حول هذا انظر :
د . محمد موفكو ، الألبانيون - عدة تسميات لأمة واحدة ،
مجلة مجمع اللغة العربية ، مجلد ٦٣ ، ج٤ ، دمشق ١٩٨٨ ، ص
٦٧٧٦ - ٦٨٤

(٨) لتتوسع حول هذه الصلات التاريخية ودورها في مد

صلات أدبية انظر :

د . محمد موفاكو ، مقدمة في الصلات الادبية العربية - الالبانية ،

التراث العربي ، عدد تشرين الأول ، دمشق ١٩٨٠ ، ص ٤٨ - ٨٨ .

(9) Giuseppe Pitre, Biblioteca delle tradizioni popolari siciliane - cartelli, pasquinate, canti del popolo siciliano, Palermo 1913.

(10) Instituti i folklorit, Folklori shqiptar I, proza popullore V, Anekdotat, Tirane 1972.

(11) Anton Cetta, Proza popullare nga Drenica, Prishtine 1972.

(١٢) في كتابه المذكور (انظر هامش ؟) جمع خاريتونوف ١١١٩
نادرة لجحا أو نصر الدين من ثلاثة وعشرين شعبا .

(13) G. Pitre, Biblioteca, P. 445.

(١٤) احمد بن محمد التيسابوري الميداني ، مجمع الأمثال ،
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٥٥ ،
ص ٢٢٣ .

(15) G. Pitre, Biblioteca, P. 444-445.

(١٦) يرجح فراج أن تكون هذه النادرة متطورة عن الاصل الذي
ورد لدى ابن الجوزي في ((الأذكياء)) . انظر :

عبد الستار احمد فراج ، أخبار جحا - دراسة وتحقيق ، القاهرة
١٩٥٦ ، ص ١٠٥ .

(17) Demush Shala, Anekdotat popullore, Prishtine :
P. 56

(١٨) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى والمفغلين ، مكتبة الفزالي ،
ص ٤٥ +

(19) Shala, Anekdotat popullore, P.68

(٢٠) يجب الا يفوتنا هنا ان لقب نصر الدين ((الخوجة))
hoca, hodza, hoxha يعني العلم أو الشيخ الذي من اختصاصه
ايضا تعليم الاولاد في الكتاب .

(٢١) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى والمفغلين ص ١٤٢

(22) Shala, Anekdotat popullore, P.95

(٢٣) الأبي ، نشر الرد ، فرج ٩٦

(24) Shala , Anekdotat popullore, P. 110

(٢٥) ابن الجوزي ، كتاب الأذكياء ، الطبعة الثالثة ، بيروت
١٩٧٩ ص ١٠١

(62) Shala, Anekdotat popullore, P. 65

(٢٧) علي مصطفى المصراي ، جحا في ليبيا - دراسة في الأدب
الشعبي ، طرابلس ١٩٨٥ ، ص ١٣٨

(٢٨) انظر نماذج من هذه الاعمال لدى المصراي ، جحا في ليبيا ،
ص ٥٧ - ٦٣

(92) Shala, Anekdotat popullore, P. 139-140

١٤٠ • فني هذه النادرة يروي ان جبليا من مرتفعات روغانا
Rarugova اهبط كلبه الى احد سكان السفوح ، وكان كلما يذهب الى
السوق الأسبوعي في مدينة بيبا القريبة يتوقف في طريقه عند
ذلك القروي ويسأله عن كلبته وينام عنده • ولما مل القروي من هذا
التحذيف الثقيل قال له في احدى الليالي :

— كلبتك بخير ! عندما تستيقظ في الصباح خذها معك لانك
كنت ان تصبح نريكي بهذه الكلبة !

(٣٠) • جانا هذه النادرة من محفوظات الباحث الموسوعي جودت
لوشمي ، خلال زيارة لنا الى تيرانا بتاريخ ٨-٥-١٩٨٨ •
(13) C, ka Shkudra nuk e ka bota

(٣٢) الطرخانة وجبة شعبية تؤكل في الشتاء فقط وهي تشبه
الكشكشة ، وهي من العجين المجفف المخلوط بالحليب أو اللبن السدي
يضاف اليه الماء الساخن في الشتاء ليصبح جاهزا للاكل •

(٣٣) سجلنا هذه النادرة أيضاً من محفوظات الباحث لوشمي
خلال زيارتنا المذكورة الى تيرانا •



كربلاء في الأدب الألباني

مع انتشار الطريقة البكتاشية (١) في أوساط الألبانيين نمت لديهم تقاليد شعبية، في العلاقات والعادات والاحتفالات الخ. فمن ذلك لدى مثلاً الاحتفال بالنوروز « ٢٢ آذار » ، بمولد الامام عبي ، ومن المناسبات لدينا المأتم Matem الذي ينظم في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم في ذكرى شهداء كربلاء . وقد أصبحت لهذه المناسبة تقاليد خاصة في أوساط الألبانيين البكتاشيين . ففي خلال هذه الأيام العشرة لا يشربون الماء ، كعاشية للعطش الذي حل بأبطال كربلاء . كما يتخلى الألبانيون عن الفخفخة في هذه الأيام ويذهبون للتكية لاستذكار أيام كربلاء ، حيث يرددون في الطريق : يا امام : يا امام ! (٢)

ولكن في هذه الأيام العشرة لا يسترجع فيه ذكرى كربلاء فقط، بل الحوادث والتضحيات الأخرى لبعض الأنبياء وأئمة أيضاً . وقد جرت العادة على تقسيم هذه الايام العشرة ، بحيث تترك كل ليلة لذكرى خاصة :

١ - في الليلة الأولى تسترجع فيها معاناة بعض الانبياء كآدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى وأخيراً المسيح .

٢ - في الليلة الثانية تسترجع ذكرى النبي محمد (ص) وماعاناه مع قومه .

٣ - الليلة الثالثة تخصص لذكرى الامام علي الذي سقط شهيداً في سبيل العدالة .

٤ - في الليلة الرابعة تفتح سيرة الامام الحسين .

٥ - الليلة الخامسة تترك لسيرة الامام الحسين

٦ - في الليلة السادسة تسترجع فيها ذكرى هجرة الامام الحسين من المدينة الى مكة .

٧ - الليلة السابعة تخصص لذكرى مسلم بن عقيل ، الذي ذهب مبعوثاً للحسين الى الكوفة ، حيث استشهد هناك .

٨ - في الليلة الثامنة تسترجع فيها ذكرى انطلاقه الحسين باتجاه الكوفة .

٩ - الليلة التاسعة تخصص لذكرى وصول الامام الحسين الى ضواحي الكوفة ، حيث يستلم رسالة مسلم الذي ينصحه بعدم القدوم .

١٠ - الليلة العاشرة تترك اخيراً لذكرى موقعة كربلاء . (٣٠)

ومع انتهاء المآتم يحضر ويقدم في التكية طابق من الحلوى يسمى عاشوراء Hashureja الذي يحضر سنوياً في هذه المناسبة (٤) . وتحضر هذه الحلوى عادة باحتفال ديني ، حيث تنشد فيه المراثيات Merthije الامام الحسين . وبعد انتهاء هذا الاحتفال ، الذي

يتلوه دعاء ديني في جو مطبق من الحداد ، يتبدل المشاركون على أكل حلوى عاشوراء * و في هذه الليالي العشر ، يتم استرجاع الذكرى بالأحاديث التي تستند الى الروايات التاريخية حول هذه الموقعة ، مع بعض خيال الذي يناسب الحال ، كما نسمع فيه القصائد التي تتناول فيه الموقعة * ومن الواضح انه لهذه الحاجة قد وضعت في القرن التاسع عشر ملحمة «الحديقة» لداليب فراشيري (5) Daip Frasheri وترجمت في الوقت نفسه تقريباً «مختارات نامة» من قبل شاهين فراشيري (6) Shahin Frasheri فقد كانت تنشد منها القصائد في المناسبات الخاصة في التكايا ، ومن ذلك مناسبة كربلاء * وقد سمع هذه القصائد من هاتين الملحيتين ، الشاعر نعيم فراشيري (7) Naim Frasheri في طفولته ، حيث كان يعرفهما جيداً * وما لا شك فيه أن هذا قد دفع نعيم الى التفكير في تأليف ملحمة أكثر أصالة للالبانيين في هذه المناسبات * وفعلاً عكف الشاعر ما بين سنوات ١٨٩٢ - ١٨٩٥ على كتابة ملحمة «كربلاء» Qenbelaja شعراً ، التي صدرت أخيراً في ١٨٩٨ في عشرة آلاف بيت من الشعر (٨) * وتعتبر من أفضل الابداعات ، لا في شعر نعيم فحسب ، بل في الأدب البكتاشي والألباني بشكل عام *

وقد قسم نعيم ملحمة هذه الى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة ، دون عناوين ، بحيث يتناول كل فصل حادثة أو أكثر *

في الفصل الأول يتحدث نعيم عن العرب قبل الاسلام ، عن ظهور النبي محمد «ص» ومقاومة الوثنيين له وعن كفاح النبي حتى هجرته الى المدينة وانتصار الاسلام * كما يتحدث في هذا الفصل عن

وفاة النبي ، عن صراع السقيفة ، وعن المشاكل التي أعقبت الخلافة
حتى اغتيال عثمان بن عفان •

ويخصص نعيم الفصل الثاني عن مبايعة المسلمين للامام علي
وعن عهده ، فيتحدث عن كفاحه في سبيل العدالة الاجتماعية ، فيقارنه
مع كبار الأنبياء ، ويقارن معه الحلاج وابن عربي ، الذين « كافحوا
جميعاً في سبيل الانسان ولتحرره من القيود التي تكبله » •

أما الفصل الثالث فيتناول فيه نعيم المشاكل التي أعقبت مبايعة
الامام علي ، عن الصراع الذي توج بسوقعة الجمل • ويبدو الامام
علي في هذا الفصل في موقف دفع اليه دفعاً ، بحيث لا يستطيع إلا الدفاع
عن نفسه ، ولذا يوصي أصحابه قبل الدخول في المعركة :

لنا اخوة

لكن الشيطان دخل بيننا

ليعبث بالفقراء !

لذا لا تشهروا السيوف لتقتلوا

بل عن أنفسكم لتدافعوا ،

والا فسوف تندمون

فهؤلاء هم اخوتنا

فهل يقتل اخ اخاه ؟

وفي الفصل الرابع يتحدث نعيم عن المشاكل الأخرى التي حلت
بالأمة ، عن النزاع بين علي ومعووية والى ما آل اليه من اقتتال بالسلاح

في معركة صفين * وهنا يتحدث نعيم عن الاستعداد للمعركة : عن نجاح أصحاب علي في اختيار المكان المناسب . حيث بقي جنود معاوية دون ماء ، فاضطروا بعد ان كاد يقضي عليهم العطش ان يطلبوا بعض الماء * وهنا يبرز نعيم انسانية الامام علي ، على عكس ما حدث مع الحسين وأصحابه في كربلاء :

لن نترككم دون ماء ،

فالماء لله

وليس للناس *

وفي هذا الفصل . كما في بقية الملحمة ، بعض المبالغات التي ساق اليها الشاعر جو الملحمة * فمعركة صفين دامت فترة معروفة ، إلا انها عند نعيم أطول من ذلك بكثير :

أربعة اشهر بقي فيها الجنود

يتقاتلون ليلا ونهارا دون انقطاع !

اوقف الحرب علي

وتشاور مع كبار اصحابه

فذهبوا وقالوا لمعاوية :

ماذا تطلب أنت ؟

طالما ان عليا على قيد الحياة

فعد الي صوابك

ولا تترك الناس تقتل هكذا !

في الفصل الخامس يتحدث نعيم عن بطولات الامام علي في هذه
الموقعة ، عن حصانه الدلادل وعن سيفه « ذو الفقار » • ومن المعروف
ان هذه هي البغلة البيضاء التي كانت للنبي محمد ، لكنها بقيت حية
عند البكتاشيين ، حيث آلت الى الامام علي الذي خاض غمار المعارك
بها وفي هذه المعركة يحاول علي ، بطريقة او بأخرى ، وقف اراقة
الدماء :

اقترب علي وقال :

قولوا له ليخرج

لاقول له عدة كلمات ،

اين هو ابن سفيان

الذي يطلب دم عثمان ؟

اخرج يا معاوية ! اخرج !

فانا لن اشهر سيفي في وجه احد

لنتبارز معا

ولننقذ الناس

الذين لا ذنب لهم •

الا أن معاوية لم يجب ، وهكذا استمرت المعركة • وبعد هذا
يتحدث نعيم عن هزيمة جنود معاوية ولجؤهم الى الحيلة برفع القرآن،
وما أعقب ذلك من توسيط أبي موسى الأشعري وخدعة عمرو بن
العاص له ••• الخ •

وفيما بعد ، في الفصل السادس يتحدث نعيم عن اغتيال الامام علي من قبل ابن ملجم ، الشيء الذي يربطه نعيم بـ « اصبح معاوية » الذي يراه وراء هذا الاغتيال . كما يتحدث عن نقل جثمان الامام علي الى النجف حيث وراه أصحابه ، لكن :

هو ما زال حيا الى اليوم

للمشتاق اليه .

كما يتحدث نعيم عن مبايعة أصحابه للامام الحسن من بعده . إلا انه سرعان ما يتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة ، حيث ينهال عليه أحدهم ظنعا بالسكن . وفي هذه اللحظة يعرف نعيم كيف يبرز الامام :

انهال عليه طعنا

بكل ما استطاع من قوة .

تراخى الامام وقال :

لا تمسوه ، لا تقتلوه !

لكن أصحابه ما سمعوه

بل اجهزوا عليه .

ومع ان الامام شقي من جراحه ، إلا انه سرعان ما تعرض لمحاولات أخرى لقتله عن طريق السم حتى فشلت فيه أربعون محاولة كما يقول نعيم . إلا أن المحاولة الأخيرة كما تقول نجحت ، وهنا يرى نعيم أيضاً « اصبح معاوية » وراء هذه المحاولة . وبهذا يقر نعيم بانتصار معاوية ولكن أي انتصار .

دخل السرور الى قلبه

وما عاد الآن

يطلب دم عثمان

بل ما عاد يذكره على لسانه

في الفصل السابع يتحدث نعيم عن محاولات معاوية لتأمين البيعة والخلافة لابنه يزيد من بعده ، حيث ينجح في ذلك رغم المعارضة التي لقيها . ونتيجة لموقف الحسين المعارض يتعرض لمحاولة اغتيال ، الا انه ينجو منها ، ويفر من المدينة الى مكة . وهناك تصل إليه رسالة أهل الكوفة الذين يطلبون منه القدوم :

نطلب العفو منك

على ما بدر منا

فقد عرفنا الآن يزيد

ورجاله وحاشيته على حقيقتهم

نحن الآن نبايعك

وكلنا رغبة في مشاهدتك

لكن أصحابه نصحوه ورجوه ألا يقبل ، ولكنه يقبل أخيرا برسالة مسلم بن عقيل مع ولديه ابراهيم والمختار . هناك يستقبل خير استقبال ويكتب رسالة مستعجلة للحسين يطالبه فيها بالقدوم ، لكن أصحابه يلحون عليه بالرفض . وهنا تكمن حيرة الحسين ، بل أزمته ، كان يعرف ما سيحدث ولكنه مضطرا الى الذهاب :

الامام كان عارفا بالامر

لكنه كان في حيرة ،

فهم لن يتركوه بمكة

والعدو يلاحقه .

كان عليه ان يترك مكة

ويذهب للكوفة

مع ان اصحابه ضد رايه

ومن ناحية أخرى تكون الفاجعة قد حلت في الكوفة ، في مسلم بن عقيل ، فبعد أن اجتمع حوله عشرون الف مسلح على مبايعة الحسين ، وجد نفسه وحيدا في البيت الذي حوصر فيه ، فأرسل وراء أولئك الذين بايعوا الحسين :

بعث خبرا الى اصحابه :

ليخرج من به شجاعة !

ولكن من عشرين الف محارب

لم يخرج أحد

بل تركوه وخذلوه !

ويترك نعيم الفصل الثامن للمواجهة بين جنود عبيد الله بن زياد وابن مسلم . فمع الخيبة التي أصيب بها مسلم لم يقبل بالاستسلام ، بل صمم على مواجهة هؤلاء الجنود :

شهر مسلم سلاحه
وأخذ يضرب به
ولم يعد ينظر أين ومن يضرب!!
قتل نحو مئتين
وأرغم الآخرين على الرجوع
لكن عددهم كان في ازدياد
فعادوا وحاصروه،
رموه بالحجارة والسهام
وهجموا عليه بالسيوف ،
أصابوا رأسه
حطموا كتفيه
حطموا كتفيه
مزقوا صدره ،
وأوقعوه عدة مرات
لكنه استند إلى الجدار ،
كل جرح فيه تحول إلى عين
من نزيف الدم ،
لكنه بقي مستنداً إلى الجدار
وعاد الأعداء يحاصرونه

وبكل ما لديهم يضربونه

صعد مسلم هناك

وطلب منهم جرعة ماء ،

لكنهم رفضوا

وشددوا عليه الحصار +

في تلك اللحظة

جاءت له عجوز بكأس ماء

فتقدم مسلم ليشرب

لكنه ما استطاع من نزع جراحه !

في الفصل التاسع يتحدث نعيم عن تقدم الامام الحسين نحو الكوفة ، حيث يبدأ تأزم الموقف + في الطريق يلقاه الشاعر الفرزدق ويرجوه أن يقلع عن فكرته وأن يعود من حيث أتى + إلا أن الامام يصر على متابعة سيره باتجاه الكوفة + في الطريق يصل الى الجماعة المحيطة به خبر مقتل مسلم بن عقيل مع ولديه فتنهار أعصاب الكثير منهم ، ويهرب أكثرهم تاركين الامام مع حفنة من أصحابه :

قال الامام : اذهبوا !

لا اريد ان تبقوا

ليبقى معي

من يرغب في الموت فقط !

وتتابع الجباعة المسير ، الحسين مع قلة مخلصه من أصحابه ،
الى ان يتعرض طريقها الحر بن يزيد التميمي على رأس فوة من ألف
فارس • وهنا يستغل نعيم الموقف ليقدم لحظة مؤثرة من حوار
الاثنيين :

قال الامام : قل لي

هل جئت لتحاربني

او لتساعدني ؟

واجاب : انا من الاصحاب

هبط الحر ليقبل قدمه

ولذا أرجوك أن تعود

دع الكوفة

وعُد ثانية الى مكة !

وأمام هذا الرجاء يزداد الامام أصراراً على متابعة سيره :

لن أعود ، لأنني بعودتي

سيسخر العالم مني •

لن أعود أبدا للوراء

بل سأموت هنا كرجل !

فانا أسعى في سبيل الحق

واحترق في سبيل الحقيقة
لأنقاذ الإنسانية !
الموت يبدو أمام أعيننا
فنحن لسنا خالدين في هذه الحياة
أفلن نموت مرة ؟
فلم نبقي اذن على قيد الحياة
في هذا المساء ؟

وهنا نجد الحر يقتنع بما يقوله الامام ، ولكنه يحاور بدوره أن
يقنع الامام بضرورة عودته :

قال الحر : ما تقوله هو الحقيقة
لكن ما بقي شيء في الحياة
فهم لا يعرفون الحق
ولا ينظرون الى الحقيقة
قل من الكلام ما تريد
ولكن ليست هناك فائدة ،
لأنك ستعاني أكثر
فالخوف قد أعمى عيونهم +

وفعلاء يمكن نعيم الحر بن يزيد أن يقنع الامام بضرورة عودته ،
الشيء الذي يخالف الوقائع التي نعرفها ، وذلك بهدف تأزيم الحدث
الذي يلجأ اليه نعيم في كثير من الأحيان . فالامام يقتنع أخيراً ويتخذ
قراراً بالعودة الى مكة ، إلا أن الظلام شتتهم فاذا هم في الصباح في
الطريق القديم ، في طريق الكوفة ، في كربلاء !

في الفصل العاشر يتحدث نعيم عن اللحظات الأولى من وصول
الامام الى كربلاء ، وعن الاحتكاك الأول مع رجال ابن زياد . الامام
يطلب منهم أن يسمحوا له بالعودة من حيث أتى ، وأن يتركوه حراً
في شؤونهم ، وهؤلاء يوافقون بشرط أن يبايع يزيداً ، الشيء الذي
كان يرفضه الامام بقوة واصرار . وعندما يسمع ابن زياد بالكوفة
بموقف الامام يطلب من رجاله أن يشددوا الحصار على الامام وأصحابه ،
وأن يقطعوا عنهم ماء الفرات . وهنا تبدأ المعاناة من العطش وتصبح
اللحظات بطيئة للغاية أمام هذا التأزم الجديد :

استسلم الامام للنعاس

فراى الله في نومه

محمداً وعلياً

وامه فاطمة

مع أخيه الحسن .

راى كل من في تلك الحياة

راى عرش الله

راى الملائكة وهم يكون

وقال له آل من كان هناك :

نحن في انتظارك !

ومع صحوۃ الامام ، بدأ ان الاشتباك لا مهرب منه • إلا أن الامام كان يجد من يعزیه في هذه اللحظة • فقد كان أصحابه يزدادون حماسة :

نريد أن نموت معك

لا أن نبقي من بعدك !

في الفصل الحادي عشر يقترب بنا نعيم من اللحظات الأخيرة التي سبقت الاشتباك • ففي هذه اللحظات يجري الحوار الأخير بين الامام وعمر بن سعد :

انا للموت سائر

لكن قضيتي لن تموت ،

بل سيطلب بدمي هذا •

فالعالم لن ينسى

ويتصر عمر على ضرورة مبايعة الامام ليزيد ، لكن هذا لا يزيد الامام إلا إصراراً على معارضته • وبعد انقطاع هذا الحوار يبدأ حوار القوة بين الطرفين • ولكن في هذه اللحظات ينتقل نعيم الحوار الطرف الآخر ، لينقل لنا مشهداً يعبر عن التناقضات فيه ، فهو حوار بين الحر بن يزيد وعمر بن سعد :

من سنحارب

الله العظيم الذي يؤمن به ؟

فكيف سنعيش في هذه الحياة

امام الله الحق ؟

قال الحر هذه الكلمات

وفاضت عيناه بالدموع

وفعلاً في لحظة مؤثرة ، ترك الحر بن يزيد جيش عمر بن سعد ،
لينضم الى أصحاب الامام الحسين ، حيث قاتل معه قتال الأبطال :

كان سيفه يقطر دما

ولم يعد في استطاعة أحد أن يصمد امامه ،

ولكن واحدا منهم رمى بسهمه

فاصاب حصانه .

سقط الحر

ولكنه سرعان ما نهض واقفا

صارخاً : لا اريد حياة بل استشهادا !

فارسل الامام رجلا

ليرسل للحر حصانا ،

ركب الحصان

وعاد ثانية للقتال

قتل واطاح بالأعناق

حتى سال الدم بين الأقدام •

فصرخ شمرّ بالجيش :

مالكم ، أين تهربون ،

أتخافون هكذا من رجل واحد ؟

فتجمع الجنود ثانية

وانفقوا بأنفسهم على الحر

رموه كلهم بالسهم

فاصابوه بجروح كثيرة

حتى أنه غرق في دمائه •

عاد الى الامام

فانزله بنفسه من على حصانه

وبين يديه

عاد الحر الى ربه !

في الفصل الثاني عشر يتابع نعيم عرض المعركة ، مفصلاً في تصوير

التضحيات العظيمة التي يقدمها أصحاب الحسين في سبيل امامهم •

وهنا يخرج نعيم قليلاً عن الأحداث ليأخذ رمزها :

فالقلب الذي لا يبكي

ولا يشعر بالأحزان

لا يعرف الإنسانية أبدا !

ونعيم يلتفت الى الألبانيين ، في نهاية هذا الفصل ، ليخاطبهم
باسمهم وليطالبهم بتذكر هذا اليوم :

يا أيها الألبان ، أذرفوا الدموع !

أنتم يامن تؤمنون بعلي

يا من تؤمنون بالانسان

يامن تحبون الامام الحسين

والام فاطمة

والائمة الاثني عشر

الذين عانوا في سبيلنا

تذكروا ذلك اليوم ،

تذكروا كربلاء

وما حدث بها !

في الفصل الثالث عشر ، حين يشتد وطيس المعركة ، يحدثنا نعيم
عن بطولات بعض شهداء المعركة الذين استبسلوا حتى اللحظة الأخيرة
في الدفاع عن امامهم ، من هؤلاء يحدثنا عن عبد الله بن مسلم وعن

محمد حفيد جعفر الطيار حيث يذكرنا ببطولة جده بدفاعه عن الراية
بكل أعضائه . هنا يبرز محمد ، حيث يصوره نعيم كباعث لذكرى
جده ولبطولاته في هذه الموقعة ، فيستشهد بعد كفاح طويل . ويخرج
للنار له أخوه الأول ، ومن ثم أخوه الثاني . فيندلان الى أن يقتلا بعد
كفاح مرير . وبعد هؤلاء يأتي دور أبناء الامام الحسن :

خرج اولا عبد الله

تاركاً النساء في بكاء ،

فصعد حصانه ومضى

وعندما سهل

اثار غبار الأرض من حوله .

ومن ذلك القوم

تمكن سيفه من ستة وثلاثين

بقوا مطروحين على الأرض ،

فلم تبق جراحة لدى أي امرئ

ليخرج امامه للقتال

بل تركوه وحيدا في الميدان

فستمع صوت من بينهم .

اتركوه وحيدا هناك

فسوف يتمكن منه العطش ويموت !

وفي مشكلة العطش يروي نعيم مشاهد فاجعة في الفصل الرابع عشر • فالعطش أصبح سلاحاً لا يقاوم في وجه الحسين وأصحابه • فالماء أمامهم والعدو يحاصرهم والشمس اللاهبة من فوقهم ، وليس لهم إلا الشهادة أو الاستسلام • ومع ذلك فالكبار كانوا يتحملون هذا العطش للحظات أخرى ، ولكن ما شأن الأطفال :

اسمعوا ياسادة !

تنفثون معنا ، مع الرجال

ولكن مالكم مع الأطفال

لماذا لا تسمحون لهم بشرب الماء ؟

ولما رأى العباس أن هؤلاء لا يزدادون إلا إصراراً على حصارهم ومضايقتهم بسلاح العطش ، توجه بجواده صوب الفرات مخترقاً الحصار :

نزل في الماء بكل عطشه ،

أراد أن يسقي حصانه •

وأن يشرب بنفسه •

تذكر أصحابه العطاش

فملا قريته وكر عائدا

لكن الأعداء قطعوا طريقه

وأمطروه بمئات السهام

كانوا كثرة كثيرة
فمن يقتل منهم ليقتل
قتل وجرح منهم ما استطاع
ولكنه جرح في النهاية ،
قطعوا له أطرافه
فحمل القربة في فمه ،
ولكن الجواد بقدمه
كما فعل في الماضي
عمه جعفر الطيار
لكن سهماً لعينا
اخترق القربة
فسال منها الماء
حتى لم يبق فيها قطرة
فأصيب بالخيبة
كان الماء يسيل منه
مع الدمع والدم !

وفي الفصل الخامس عشر يصور لنا نعيم بطولات عظيمة من معركة
أكر بلاء ، فيتحدث أولاً عن علي الأكبر ، الذي « حول باستشهاده

النهار الى ليل » • وقد أثار استشهاد حماسة زين العابدين ، الذي كان مريضاً ، فتسالك نفسه وخرج يريد الحسين ليستأذنه في الخروج للقتال • إلا أن الحسين يعارضه في ذلك ويقنعه بالبقاء من خلال فلسفة الحياة والموت :

قال الحسين : البطل

لا تهزمه المعاناة !

اولئك ذهبوا الى تلك الحياة ،

لدى الله الحق ،

حيث اجتمعوا مع الله

ومع محمد وعلي

ومع الأم فاطمة والحسن •

هذه الحياة مثلها مثل الناس

فالروح تصحو بعد الموت ،

والإنسان الحقيقي

لا يموت أبداً في هذه الحياة •

ان الله عز وجل

لم يكتب لك هذا اليوم ،

فبعدنا سيأتي دورك وتلحق بنا

حيث تجدنا في تلك الحياة

فالموت لم يكتب لك اليوم

بل لقد ترك لك ليوم آخر •

في الفصل السادس عشر يتحدث نعيم عن الامام الحسين حديثاً مطولاً * فبعد أن رأى الامام أن الدائرة تضيق حوله صمم على الخروج ، حيث أراد أن يتوجه بكلمة أخيرة الى أعدائه * وفي هذه الكلمة الأخيرة يعبر نعيم عن كل شيء في نفسية الامام :

لا يسؤوني ما جرى لنا

لأن هذا ما كتبه الله ،

بل يسؤوني ما جرى للوطن

للمهد والدين

والإنسانية *

ما أردت في حياتي

أن أقاتل الناس ،

ما أردت أن أحمل وژر ذبابة

لاقتلها

فكيف أقتل الناس ؟!

هذه المجزرة لن تنسى أبدا

بل ستذكر دائما ،

ستبقى في ذاكرة العالم

طالما طالت هذه الحياة *

لا تتركوني حياً

فأنا لن أعيش بعد الآن !

أرموا ، أرموا بسهامكم

فقد قتلتم أصحابي كافة ،

وتركتموني وحيدا .

لن أعود دون أصحابي

بل ساموت هنا !

وقد كان لهذه الكلمة ، عند نعيم ، تأثير كبير في جيش أعداء الحسين ، فقد صدمتهم الحقيقة التي بدت واضحة من كلمة الامام .
إلا أن شمر عاود تحريضهم وترهيبهم ليعاودوا الهجوم على الامام .
وهنا يلجأ نعيم الى الاستعانة بالله في المعصمة لانتقاذ الحسين :

السهم أصعبت كشبكة من كثرتها

فوق رأس الحسين ،

فقد حجب الشمس بكثافتها

وظللت المكان بظلمها

ولكن الله مد يده

فلم يمس واحد منها جسم الامام

والفصل التالي ، السابع عشر ، هو ذروة الملحمة ، فهو للحسين بكامله . ففيه يحدثنا نعيم عن فراق الحسين لنسائه وأولاده ورفضه

لاصطحاب أي منهم للقتال • وبعد هذا ينتقل نعيم الى هجوم
الحسين على أعدائه ، مما حوّل كربلاء الى بحر من الدماء :

كان بإمكانه أن ينال الجميع

لكنه كان يتلظى دون ماء ،

اقترب من النهر

توقف قليلا وتفكر

تذكر أصحابه

فانهمرت دمونه

وعاد الحسين ليحارب ببطولة حتى بلغت جروحه سبعين جرحاً ،
أكما يقول نعيم • إلا أن هذا لم يمنعه من متابعة هجومه على أعدائه ،
الذين سيطر عليهم الرعب :

انهمرت السهام عليه كالطر

كانوا يرمونه من بعيد ،

فما كانوا يتجرؤون على الاقتراب منه •

لكن محاولة الحسين كانت تزداد صعوبة ، بتكاثر الأعداء عليه
وازدیاد جروحه :

بلغت جروحه الآلاف

التي تسيل منها الدماء ،

لكنه لم يستسلم

بل بقي صامداً بسلاحه .

انت يا غلام ! أين كنت ،

لماذا لم يقتلوك في كربلاء

لماذا تركوك حياً ؟

لماذا تسألني أنا ؟

لقد طلبت الموت

.....

فما أردت أن أعيش أكثر ،

لقد أراد الجنود أن يقتلوني

ولكن الله أنقذني ،

في يد الله

فوق أيادي الناس !

.....

ها أنا هنا ، لم لا تقتلوني ؟

الا يكفي أولئك الذين سقطوا شهداء

في كربلاء ؟

بل يغضبك الآن

أنهم تركوني حياً

وفي بداية الفصل التاسع عشر يحدثنا نعيم عن انتشار خبر فاجعة كربلاء في العالم وما ترك ذلك من أثر : —

طار الخبر بسرعة

ليعم أرجاء الأرض ،

كانه على جناح طير ،

فعلم الجميع

وبكت كل الإنسانية

وبعد هذا يحدثنا نعيم عن وصول رأس الحسين الى حضرة يزيد مع جنوده ، وكيف نظر اليه ونكت ثغره بقضيب كان بيده ، إلا أن هذا المشهد قد استثار حتى أولئك المحيطين بيزيد ، ومن هؤلاء النмир :

وفي هذه الحالة أطبق عليه المزيد من جنود العدو ، كما يقول نعيم ، فبقي صامدا لفترة أخرى حتى نفذت قوته فسقط شهيدا .

سقط عمود الإنسانية

نور الله ،

فاهتزت سهول كربلاء

واظلمت السماء ،

اهتزت كل الأرض

لدى سقوط الامام

في الفصل الثامن عشر يتحدث نعيم عن موقعة كربلاء بعد سقوط الحسين ، فيرى أن هذه الموقعة ليست هزيمة للحسين •

وفيما بعد يحدثنا نعيم عن اصطحاب الجيش لمن بقي حياً من أصحاب البيت ، ومنهم زين العابدين ، الى الكوفة • ويبرز لنا نعيم في هذا الفصل دخول من تبقى من الجماعة ، على تلك الحالة البائسة ، شوارع الكوفة حتى وصولهم ووقوفهم أمام عبيد الله بن زياد ، الذي يفضب لرؤية زين العابدين على قيد الحياة :

بكي كثيراً وقال :

لماذا تركني الله

أعيش لأرى هذه السيئات ؟

ورأى يزيد انه بموقفه قد أثار سخط المحيطين به أيضاً ، فأراد، كما يقول نعيم ، أن يتصرف بشكل ما ليلقي مسؤولية هذه الجريمة على غيره :

أراد أن يغطي ذنبه

فما استطاع قتل النмир

بل قتل البشير ،

لأنه أفسد عمله

وجلب الخطر حول رأسه !

وكما هو معروف ، فقد جاء بعد يزيد معاوية الثاني ، إلا انه كان
لا مبالياً بالسلطة ففضل أن يتركها • وهنا يستغل نعيم رفض معاوية
الثاني للعرش ليحوّله الى رفض سياسي ، بل الى محاكمة سياسية :

اسمعوا ما أقوله :

أبحثوا عن ملك آخر

فانا لن ابقى

في عرش دموي !

فهذا العرش ملعون

لانه اقيم فوق نهر من الدم ،

وما فعلاه هما لن افعله انا !

ولكن يكمل نعيم صورة هذا الرفض الواعي لمعاوية الثاني يضيف
بأنه قد اغتيل اغتيالاً ولم يمت موتاً طبيعياً وذلك نتيجة لموقفه •

وفي الفصلين اللاحقين ، العشرين والواحد والعشرين ، يتحدث
نعيم عن تتابع بقية الأئمة حتى آخر العهد الأموي • أما في الفصلين
الآخرين ، الثاني والعشرين والثالث والعشرين ، فيتحدث عن سقوط
الحكم الأموي عن طريق الجيوش التي تدفقت من الشرق تحت شعار
الدعوة لعلي ولأهل البيت • وفي الفصل قبل الأخير ، الرابع والعشرين ،
يتحدث نعيم عن استئصال العباسيين للسلطة في بغداد ، التي أصبحت
باسمهم ، وينتقدهم لعودتهم الى سلوك العهد الأموي • وفي هذا
الفصل يتحدث نعيم عن تسميم الأئمة في هذا العهد ، الواحد بعد
الآخر ، من جعفر الصادق حتى محمد المهدي :

الملائكة رفعت بأجنحتها

الامام المهدي ،

انتشلوه من بين الناس

ورفعوه عند الله

حيث لا يزال على قيد الحياة •

والفصل الأخير في هذه الملحة ، الخامس والعشرين ، يتميز عن
كل الفصول الأخرى •

وفي نهاية هذا الفصل يؤكد نعيم المضمون المترابط الانساني —
القومي للدين ، حتى انه ل يبدو أن هدف كل هذه الملحة هي ما يريد
ان يبثه نعيم من شعور قومي في نفوس الألبانيين بالذات • فهو في
ذلك يريد أن يحررهم من عقدة الدين — القومية ، أي بمعنى أن
الشعور القومي لا يتناقض مع الدين :

لنحب بني الانسان ،

لنحب البانيا والالبانيين

لنحب لغتنا ووطننا ،

لنتعلم لغتنا

فالله قد منحنا إياها ،

ولكل قوم وطنه

كما للعصفور عشه •

تكلهوا بلفنتكم

لا بلغات أجنبية

فلم يصفطون علي

لتعلموني لغة أخرى

لأنسى لغتي ؟

ولا شك أن الشاعر نعيم في هذه الأبيات ، وغيرها من ابداعاته وكناياته ، قد مارس تأثيراً كبيراً في نفوس الألبانيين . فالسلطة التركية قد استعملت بنجاح عامل الدين في المناطق الألبانية ، بحيث أن كلمة « تركي » التي أصبحت مرادفة لمسلم ، قد أصبحت تطلق على الألبانيين ، وبالتالي لم يعد هناك وجود للألبانيين أو للغة ألبانية في نظر السلطة التركية . فهذه السلطة كانت تكافح كل محاولة لفتح مدرسة لتعليم الألبانية ، كما كانت تحارب كل محاولة للاستقلال تنبع من الشعور القومي الألباني ، الذي أصبح مصادراً ومعادياً للدين . لكن « نعيم » يطرح كما نرى هنا الأمور من منطق ديني معاكس . فلدى نعيم لا يوجد تناقض في جوهر الدين بين حب بني الانسان وبين حب الألبانيين لأنفسهم ، كما أن « لكل قوم وطنه كما للعصفور عشه » . فبهذا المنطق فإن الألبانيين وطنهم كما للاتراك وطنهم ، ومن حقهم التمتع به . وبالمنطق نفسه يعالج نعيم مسألة اللغة : « لتعلم لغتنا ، فالله قد منحنا إياها » ، حيث أنه بهذا يحول اللغة الألبانية الى لغة مقدسة ، لا بد من تعلمها لأنها من عند الله . وطالما أنها لغة « من عند الله » فمن حقه أن يحتج على تعليمه لغة أخرى « التركية » لكي لا ينسى لغته التي هي من عند الله .

وبهذه الروح القومية يختم نعيم ملحمة ، فهو يحاول أن يربط
كربلاء والشخصيات الكربلائية بشكل ما بصير ألبانيا والألبانيين +
فهو يريد من الألباني أن يستلهم كربلاء لمصلحة وطنه وقوميته ،
« ليموت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين » :

يا الله ، لأجل كربلاء ،

لأجل الحسن والحسين ،

لأجل الأئمة الاثني عشر ،

الذين عانوا ما عانوه في الحياة

لا تترك ألبانيا

تسقط أو تدمر ،

بل لتبقى خالدة

وليكن لها ماتريد ،

ليبقى الألباني بطلاً كما كان

ليحب ألبانيا ،

ليمت في سبيل وطنه

كما مات المختار في سبيل الحسين !

ومن هذه الناحية علينا أن نقيم، في نظرتنا النهائية ، هذه الملحمة
النادرة . فالشاعر نعيم ، دون أي شك ، قد ترك تأثيراً كبيراً في نفوس
الألبانيين بهذه الروح القومية ، التي عرف كيف يثير بها ذلك القارئ
المتتبع بلهفة لأحداث الملحمة . فهذه الملحمة كتبت لتكون مثلاً أعلى
للألبانيين ، من وجهة نظر معينة طبعاً ، وقامت بدورها إذ بقيت تتردد
في المناسبات المختلفة وطبعت للمرة الأخيرة سنة ١٩٧٨ ، أي أنها ما تزال
حية بهذا المعنى .

ألهوامش

(*) نشرت هذه الدراسة لأول مرة في مجلة ((المعرفة)) ،
عدد ٢١٣ ، دمشق تشرين الثاني ١٩٧٩ .

(١) الطريقة البكتاشية تقوم في جوهرها على مثلث وثني -
مسيحي - اسلامي ، نتيجة للمنطقة التي تشكلت فيها ، إلا انها
فيما يتعلق بالاسلام كانت تتميز بالتشيع لأهل البيت . ومع أن
هذه الطريقة انتقلت الى البلقان منذ بداية الفتح العثماني ،
وبالتحديد مع الدراويش المرافقين للجيش الانكساري ، إذ انها انتشرت
بشكل واسع في المناطق الألبانية منذ نهاية القرن الثامن عشر
وبداية القرن التاسع ، حتى أن تيرانا أصبحت مركز هذه الطريقة
بعد أن منعبت في تركيا الكمالية في مطلع القرن العشرين (١٩٢٤) .
وفد كان لهذه الطريقة دور كبير في الحركة القومية الألبانية ، في
النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وفي الأدب الألباني حتى أنه يمكن
الحديث عن ((أدب بكتاشي)) أو ((أدب شيعي)) في إطار الأدب
الألباني . للتوسع حول هذه الطريقة انظر :

محمد موفكو ، البكتاشية ، العربي عدد ٢٢٠ ، الكويت آذار

١٩٧٧ ، ص ٦٤-٦٨

(2) xhevat kallajhi, Bektashizmi dhe teqja shqiptare n,Amerike New York 1964, P.20

(3) Ibid.

(٤) لا بد أن نضيف هنا أن هذا الطباق من الحلوى لم يعد يقتصر على هذه المناسبة بل أصبح يقدم في البيوت الألبانية في بقية أيام السنة، كما أنه لم يعد يقتصر على المتشيعين بل أصبح شائعاً لدى بقية الألبانيين . .

(٥) من شعراء النصف الأول للقرن التاسع عشر . ولد في قرية فراشر (جنوب البانيا) حيث قضى معظم حياته في تكية معروفة للطريقة البكتاشية هناك . في ١٨٤٢ أتم أول وأطول ملحمة في تاريخ الأدب الألباني (الحديقة) التي تتألف من ستة وخمسين ألف بيت من الشعر موزعة على عشرة فصول . ويتناول الفصل الأول فقط تاريخ العرب قبل الإسلام ، بينما تتناول الفصول الأخرى موقعة كربلاء .

(٦) الأخ الأصغر لداليب فراشري ، من شعراء النصف الثاني للقرن التاسع عشر . انجز ملحمة ((مختار نامه)) التي هي الملحمة الثانية في تاريخ الأدب الألباني ، سنة ١٨٦٨ وهي تتألف من اثني عشر ألف بيت من الشعر .

(٧) نعيم فراشري (١٨٤٦ - ١٩٠٠) من أكبر الشعراء في الأدب الألباني . ولد في فراشر ونشأ فيها ، حيث تعلم الفارسية والعربية في التكية البكتاشية هناك . نشر أول إبداعاته في الفارسية ، ثم تخطى عن ذلك - تحت تأثير الأحداث الحاسمة في المناطق الألبانية - ليتوجه

بكلية له مشاركة في حركة النهضة القومية الألبانية . مارس نانيرا كبراً
على جيله وعلى الجيل اللاحق أيضاً . من أشهر مؤلفاته الشعرية ((أزهار
الصيف)) (١٨٩٠) ، ((الدروس)) و ((الكلمة الطائفة)) (١٨٩٤)
((تاريخ أسكندر بك)) (١٨٩٨) الخ .

(٨) لقد صدرت الطبعة الأولى من هذه الملحمة في بوخارست
(رومانيا) ، بينما لم تصدر الطبعة الثانية - لاعتبارات خاصة في
يوغوسلافيا وألبانيا - إلا بعد ثمانين سنة (١٨٧٨) في بريشتينا يوغوسلافيا
وهي الطبعة التي استفدنا منها .



أروى العربية وأروى الألبانية

بين الأدبين العربي والألباني صلات تقدم أرضية غنية للادب المقارن ، إلا أن هذه الأرضية بقيت خارج أية دراسة شاملة ، باستثناء بعض الاشارات هنا وهناك ^(١) . ومن ذلك سنتناول في هذه المناسبة نموذجاً واحداً فقط للصلات التي تجمع بين الأدبين العربي والألباني . ويدور هذا النموذج حول شخصية « أروى » ، وبالتحديد حضورها في الأدبين العربي والألباني ، أو لنقل انتقالها من الأدب العربي الى الأدب الألباني .

وفيما يتعاق بالادب العربي نرى « أروى » في إحدى قصص «ألف ليلة وليلة» ^(٢) ، وهي تدور حول امرأة كتب عليها أن تعاني كثيراً في سبيل حب زوجها . فقد تركها زوجها القاضي امانة لدى أخيه الى أن يعود من سفره له ، إلا أن هذا الأخ سرعان ما يحاول أن يغريها بحبه في غياب أخيه . ولكن ، حين يواجه برفضها العنيف ، يستدعي شهود زور ليشهدوا عليها بالزنا ، ولتنال عقوبة الرجم جزاء لها . وفعلاً تنفذ العقوبة ، إلا أن رجلاً صالحاً يمر بقرب الحفرة التي رجمت فيها وينتشلها في أنفاسها الأخيرة ، حيث يأخذها الى البيت ويعتني بها الى أن تشفى . وهناك تعتني هي بآبن هذا الرجل لفترة ما ، الى أن يراها أحد « الشطار » ويطعم نيا . ولكن حين ترفضه

يقدم على اغتيالها ، إلا أنه يصيب ابن صاحب البيت . وهكذا تلاحقها المشاكل دائماً . وإزاء هذا ، تهرب من البيت ، وفي الطريق ترى جمعاً يوشك أن يصلب رجلاً ، فتنقذه بما معها من دراهم . وهذا يعوض عليها شيئاً مما فات ، فيندر نفسه أن يخدمها ويبنى لها صومعة . وفي هذه الصومعة تكتسب القدرة على شفاء المرضى المصابين . ويحدث أن يصاب بالمرض كل من أساء إليها فيقصدونها لشهرتها في المعالجة . ولدى قدومهم تتعرف عليهم وتشتري عليهم أن يقصوا على مسمع الجميع . ومن بينهم زوجها ، ماقاموا به من أساءات . وفعلاً يروي كل واحد ما قام به ، فتعفو عنهم في النهاية وتعيش سعيدة مع زوجها (٣) .

وكما نرى ، فإن هذه القصة تقدم مادة غنية يكمن استلهاها ، عن التضحية التي تصل إلى ذروتها لدى « أروى » في سبيل حبها لزوجها . وفي حدود ما نعرف فإن الأدبية السورية ودا دسكاكينى كانت أول من استفادت من هذه المادة في الأدب العربي الحديث حيث اعتمدت عليها كقاعدة لروايتها « أروى بنت الخطوب » التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٥٨ (٤) . وما يثير في هذه الرواية أن المؤلفة تلج أكثر على الإطار العربي للرواية منذ الصفحة الأولى . فهي تحدد إطاراً زمنياً للرواية « في دمشق منذ ألف عام » . وهي تفتتح الرواية بالنعمان « زوج أروى » ، الذي يعمل بالتجارة بين الشام والعراق . فهذا مع ثروته الطائلة ، تتوق نفسه إلى صفقة لؤلؤ فيترك زوجته أمانة عند أخيه . وهنا يتكرر ما شاهدناه سابقاً في القصة وينتهي الأمر بالمرأة للرجم . وهنا تبرز المؤلفة حمدون « أحد سادات تدمر » في قافلة سائرة من دمشق إلى تدمر حيث ينقذها . وعوضاً عن أحد

« الشطار » تترك المؤلفة الدور لعبد من عبيد حمدون كي يحاول معها ، ومع فشله يحاول الانتقام منها باتهامها بالسرقة .

ومع اكتشاف السرقة تهرب « أروى » فتتخذ في طريقها الرجل الذي اكان يوشك أن ينفذ به حكم الموت ، كما في القصة السابقة .
إلا أن المؤلفة تدخل هنا عنصراً دراماتيكياً ، حيث يلحق بها هذا الرجل في الصحراء ليغتصبها . ولكن ، حين تتصدى له يستغل قدوم قافلة تجارية فيبيعها بألف دينار على أساس أنها جارية له . وفي القافلة ينقذها شيخ يأخذها الى مصر ، حيث ينصحوه أن يبيعها في جزيرة كريت . وفي السفينة يتآمر عليها بعض الركاب لاغتصابها ، إلا أن عاصفة تهب وتحطم السفينة ، فتتعلق « أروى » بأحد الألواح حتى تشارف إحدى الجزر . وتعين « أروى » ملكة للجزيرة ، بسبب أن سكانها كانوا قد اتفقوا على تعيين أول غريب يرد اليهم بعد موت ملكهم . وفيما عدا هذا تجري الحوادث على نحو ما انتهت عليه في القصة التي استعرضناها (٥) .

أما فيما يتعلق بالأدب الألباني ، فإن « أروى » قد استلهمت في أكثر من عمل أدبي ، فيما يشكل ابداعات لها قيمتها في هذا الأدب . ومما لا شك فيه أن الشاعر محمد تشامي « ١٧٨٤ - ١٨٤٤ » هو أول من استثمر هذه المادة في الأدب الألباني ، وذلك في قصته الشعرية « أروى » Erveheja التي تتألف من ٨٥٦ بيتاً ، والتي كتبها حوالي سنة ١٨٢٠ (٦) . وفيما يتعلق بهذا الشاعر ، نرى أنه من الضروري أن نذكر أنه انتقل للدراسة الى مصر ، كغيره من الألبانيين ، حيث بقي فيها عشر سنوات . وقد أتاحت له هذه الإقامة الطويلة أن يتقن العربية جيداً وأن يتعرف عن كثب على

الثقافة العربية • ومن ذلك نذكر له ترجمته المعروفة لقصيدة « البردة »^(٧) ، ومع ذلك يثار الشك حول مصدر ملحمته «أروى» ففي « تاريخ الأدب الألباني » ، وهو التاريخ الرسمي الذي يؤخذ به عادة ، يذكر أن الشاعر قد استمد موضوعه من كتاب تركي^(٨) . ولكن نجد شيئاً أقرب إلى الصحة في كتاب آخر ، « من الأدب الألباني » ، الذي يذكر صراحة بأنه قد استمد موضوعه من كتاب عربي^(٩) . وكنا قد أشرنا في مقال سابق عن مصدر هذا الموضوع في كتاب « ألف ليلة وليلة »^(١٠) وعن تأكيد المصدر العربي لملحمة الشاعر محمد تشامي . وفي هذا كنا قد اعتمدنا على تأكيد الباحث المعروف حسن كاشي بأن الشاعر قد اطلع على « ألف ليلة وليلة » خلال إقامته الطويلة في مصر^(١١) .

ومن المثير أن هذه القصة الشعرية قدر لها أن تنتشر في أوساط الألبانيين مع أنها لم تطبع بنصها الأصلي الذي كتبه محمد تشامي . فقد نسخت القصة الأصلية أكثر من مرة ، وكان ممن نسخوها الملاحودو Mu'll- H. Asqeriu العسكري • وشاعت الظروف أن تقع هذه النسخة بيد الكاتب الألباني المعروف ياني فرتو jani vrito « ١٨٢٢ - ١٩٠٠ » فأعاد كتابتها بالحروف اللاتينية • بعد أن كانت مكتوبة بالحروف العربية ، وطبعها للمرة الأولى سنة ١٨٨٨ • إلا أن فرتو أجرى عليها تعديلات كثيرة بتصفيها من الكلمات العربية والتركية ، بحيث نجح في نواح معينة وأخفق في نواح أخرى^(١٢) . ومن المثير أن النسخة الأصلية لمخطوطة تشامي بقيت مجهولة حتى الخمسينات ، وهي اليوم محفوظة في المكتبة القومية في تيرانا^(١٣) . أما من حيث موضوع هذه القصة الشعرية فهو قريب جداً

من الخط الذي سارت عليه الحوادث في رواية وداد سكاكيني ؛ ولكن
باطار أقرب للالبانيين . فهنا نجد أيضاً سفر الزوج ومحاولة أخيه
استغلال غيابه ، ورجم « أروى » وانقاذها ، وانقاذها هي للرجل من
حبل المشنقة واساءة هذا الرجل اليها . وفي ملحمة تشامي نجد أن
هذا الرجل يبيعها الى صاحب مركب ، حيث أن العلية تتم قرب
شاطيء البحر عوضاً عن الصحراء . وفيما عدا هذا تأخذ بقية الحوادث
مجرها كما في رواية « أروى بنت الخطوب » لسكاكيني (١٤) . وهذا
التشابه ، إن لم نقل التطابق ، بين قصة تشامي ورواية سكاكيني
يدل على أن مصدر العملين واحد .

ولقد ذاعت وانتشرت شخصية « أروى » ، أو لنقل قصة « أروى »
بشكل واسع بين الألبانيين ، سواء بواسطة النسخ التي نسخت من
الملحمة الأصلية أو بواسطة النسخة المطبوعة فيما بعد . ولم يقتصر
انتشار هذه القصة على أوساط القراء والمثقفين ، بل في الأوساط
الشعبية أيضاً ، حيث انها أصبحت جزءاً من الأدب الشعبي الألباني .
وقد عثرنا نتيجة أبحاثنا على نموذجين أو عرضين لهذه القصة فيما
تم طباعته من القصص الشعبية الألبانية . فالقصة الأولى تحمل
عنوان « عهد عقد الزواج » التي نشرت أولاً في كتاب د . كورتي
D. kurtti « حكايات قومية » ومن ثم مجموعة « الفولكلور
الألباني - النثر الشعبي » في تيرانا سنة ١٩٦٦ (١٥) . والقصة الثانية
التي وجدناها هي « زوجة الحاج » التي سجلها خليل كايغازي
H. kajtazi ونشرها في كتابه « النثر الشعبي لدرنيتسا » (١٦) . وما
هو واضح من الكتاب الثاني ، فإن هذه القصة ما زالت تروى وهي
بالتالي ما زالت حية في الأوساط الشعبية .

وفي هذه الناذج الشعبية لقصة « أروى » نجد بعض التعديلات، البسيطة ، الشيء الذي يبدو طبيعياً في الأدب الشعبي ، حيث تدل كل قصة عن الوسط الذي تروى فيه . ففي القصة الأولى ، « عهد عقد الزواج » ١٦ نجد أن الزوج يضطر إلى فراق زوجته بسبب البحث عن العمل ، أو بسبب الاغتراب Gurbeti كما يقول الألبانيون ، الشيء الذي كان شائعاً بين الألبانيين في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن . أما في القصة الثانية ، « زوجة الحاج » ، فنجد أن الزوج يضطر إلى فراق زوجته بسبب ذهابه إلى الكعبة لإداء فريضة الحج . وفيما عدا بعض « التوش » لا نجد في هاتين القصتين تغييرات في مجرى الحوادث كما رأيناها سابقاً .

إلا أن « أروى » لم تبقى حية في الأدب الشعبي فقط ، بل دخلت أيضاً في الأدب الألباني المعاصر ، حيث تحولت إلى مسرحية باتت معروفة على نطاق واسع لدى الألبانيين . وقد كتبت هذه المسرحية التي تحمل اسم « أروى » Erveheja الكاتب أحمد تشيريزي « ١٩٣٥ » في الستينات ، وعرضت لأول مرة في مسرح برشتنا ، عاصمة إقليم كوسوفا ، في سنة ١٩٦٧ . وقد اكتسبت هذه المسرحية شهرة واسعة على النطاق الإقليمي واليوغسلافي وفازت بعدة جوائز . ففي « ملتقى المسارح المحترفة » لجمهورية صربيا ، الذي انعقد في مدينة نيش ، فازت بالمركز الأول كما فازت بخمس جوائز دفعة واحدة . كما أنها فازت بالجائزة الأولى للإخراج في « مهرجان المسرحيات اليوغسلافية » الذي انعقد في مدينة نوفي ساد (١٧) . ويكفي أن نذكر أن هذه المسرحية عرضت حتى الآن أكثر من مئتي مرة في كوسوفا وفي يوغسلافيا . كما أنها عرضت أيضاً في ألبانيا سنة ١٩٧١

ومن المثير أن هذه المسرحية لم تطبع ، على الرغم من كل هذا النجاح .
إلا في سنة ١٩٧٨ (١٨) .

أما من حيث موضوع المسرحية ، فقد اعتمد الكاتب تشيريزي على ملحة « أروى » للشاعر تشامي ليكتب مسرحية عصرية .
إلا أن هذا التعصير لم يمس مجرى الحوادث ، التي جاءت هنا مختلفة سواء في الأصل أو في بقية النماذج . ففي الأصل ، كما في بقية النماذج تنتهي معاناة « أروى » بعوانه عن أساؤوا إليها وبعودتها ثانية الى زوجها لتقضي معه بقية حياتها في سعادة . أما في مسرحية تشيريزي ، فنحن نرى هذا أيضاً ولكن تفاجأ بأن هذه النهاية ليست إلا مجرد حلم تستغرق فيه « أروى » لتستفيق فيما بعد على ضوضاء نعيم في هذا الفصل حول من تبقى من الجماعة ، على تلك الحالة الذين يلاحقونها منذ البداية . وفي هذه المرة لا تسلم « أروى » بل تقتل بعنف من أولئك الذين لهم مصلحة واحدة في تصفيتا ؛ لأن في وجودها فضيحة دائمة لهم . وهذه النهاية المفجعة يسقطها الكاتب أيضاً على زوجها ، ولهذا يبقى جهما حلماً ويتحولان الى رمز للحب وسط محيط من الحقد والكراهية .

نماذج من أروى الألبانية

لقد ارتأينا ، بعد هذا العرض ، أن نقدم بعض النماذج عن « أروى » في الأدب الألباني ، سواء من الأدب الفني أو من الأدب الشعبي .
وسنراعي هنا التسلسل التاريخي لحضور « أروى » في الأدب الألباني ، كما مر معنا سابقاً . أي أننا سنبدأ من القصة الشعرية

« أروى » للشاعر محمد تشامي ، التي تعود الى عام ١٨٣٠ ، على
استبصارها ملهمة للإبداعات الأخرى .

١ - «أروى»

مقاطع من القصة الشعرية

١- محمد تشامي

أروى كانت امرأة

ليس لها مثيل في تلك الأيام ،

وحين تزوجت فتاة تشبه القمر .

واضطر زوجها على عادته

أن يسافر الى بلاد الغربة ،

فأرسل وراء أخيه وأخبره

ليترك له زوجته أمانة في عنقه .

أخذ طريقه وراح

وسسارت أموره على مايرام ،

فما كانت لديه شبهة

بتركه لأروى لدى أخيه

أما أخوه

نقد عاد ليؤدي امانته ،
خلع جانباً طربوشه
وجاء عند أروى ،
قال لها دون تمهيد :
((أروى يا حيااتي))
((أنا ذلك البائس))
الذي يفكر فيك ليل نهار)) .
((احبيني وارحميني))
((ارحمني هذا البائس))
((لا تدعيني في هذه الدوامة))
((لنلتق مرة فقط)) !
حين سمعت أروى
هذه الكلمات من سلفها ،
التفتت فوراً اليه
ورمقته بنظر عحادة
قالت له ((كيف تطلب هذا ؟
((وكيف تبرر في نفسك هذا ؟
((وكيف لا تتذكر أخاك بهذا ؟
((أتريد أن تخون عهده بهذا ؟))

٢ - «زوجة الحاج» قصة من الادب الشعبي

في قديم الزمان ، ذهب أحد الحجاج الى الكعبة وترك زوجته
أمانة لدى أخيه • وحاول هذا الأخ أن يفتصبها بالقوة ، إلا أنه ما
استطاع • وكرر محاولته ، إلا انها رفضت وأصرت على رفضها •

حينئذ ذهب الى القاضي وقال له : لقد ترك أخي زوجته أمانة
في عنقي ، وفيما لو ضبطتها تمارس العمل الشنيع ، ماذا تقول لأفعل
بها ؟

قال القاضي : - إذهب الى أحد مفارق الطرق واحفر هناك حفرة ،
وخذ المرأة وضعها هناك ، وخذ معك أيضاً عربة مملوءة بالحجارة
وارجمها كما تريد • ومن يمر من هناك ليرجمها أيضاً بالحجارة •

أخذ هذا الحجار وحفر حفرة هناك ، ورجم المرأة الى أن غابت
عن الوعي • وفي ذلك الوقت ، مر أحد البكوات على حصانه من هناك ،
وحين رأى الحصان المرأة أخذ يصهل ، ولما رأى هذا المرأة سألها :
من أنت ؟

قالت : - أنا امرأة ، القوني في هذه الحفرة ورجموني بالحجارة
بما استطاعوا ، ومع هذا بقيت حية •

اقترب البيك وأخذ المرأة ، وضعها على حصانه واصطحبها الى
بيته • واستردت المرأة صحتها بعد عدة أيام ، وأخذت تعمل في خدمة

البيك * وقد كان لهذا البيك اجير يعمل عنده * فحاول أن يغتصبها بالقوة ، لكنه ما استطاع ، كما حاول أن يتزوجها بالقوة . ولكن ما استطاع أيضاً * وكان لذلك البيك طفل صغير * وفي إحدى الليالي قام ذلك الأجير وطعن الطفل حتى أرداه قتيلاً * وبعد هذا أخذ السكين ، وهي تقطر دماً ، ووضعها تحت رأس تلك المرأة * وحين استيقظ البك رأت زوجته ولدها ميتاً ، ولاحظ البك أن شخصاً ما قد ذبح طفله * وحين لاحق قطرات الدم وجد لدى تلك المرأة السكين المملوطة بالدم * فقال البيك :

طالباً حدث هذا ، سأعطيك مئة ليرة لأنك خدمتني ، واذهبي حيث تريدين * وأخذت هذه المئة ليرة وذهبت الى مدينة بعيدة * وحين وصلت الى تلك المدينة ، كان الناس هناك قد ألقوا القبض على أحد اللصوص وأرادوا أن يشنقوه *

وسمعت من يقول منهم : - اذا أعطانا شخص ما مئة ليرة سنطلق سراحك *

وحين سمعت هذه المرأة هذا آهات كثيراً ، فاقتربت وأعطتهم مئة ليرة ، فأطلقوا سراحه فوراً *

حينئذ قال هذا : - من دفع هذه المئة في سبيلي ؟

قالوا له : - امرأة *

فأسرع خلفها الى أن بلغها ، وقال : - هل أعطيت أنت تلك المئة في سبيلي ؟

أجابت المرأة : - نعم

حينئذ ، أخذ يحاول أن يأخذ المرأة بالقوة • وفيما هي تحاول دفعه والهرب منه وصلت الى قرب البحر حيث ترسو القوارب • وهناك رسى أحد القوارب ونزل منه أحد الباشوات •

فسأل : ما بكما ؟

فأجابه ذلك الرجل : - هذه امرأتي ولا تريد ان تبقى معي •

حينئذ سأل الباشا تلك المرأة : - هل يربطك شيء بهذا الرجل ؛

أجابت المرأة : لا يربطني شيء به وما شاهدته أبدا ، فهو يحاول أن يأخذني بالقوة •

حينئذ قال الباشا : اذهب من هنا يا أسود الوجه ! وحنى لو كانت هذه امرأتك فهي لا تريدك الآن • اذهب وسأقطع رأسك اذا سمعت كلمة منك !

وبعد ذلك صعدت المرأة الى المركب ونزلت في الناحية الثانية من البحر ، حيث تعلمت صنعة جيدة ، ان تشفي العميان والمصابين من ذوي العاهات • وبعد هذا عادت الى تلك الناحية من البحر ، حيث سمع هناك الحاج والبك واللص ، الذين كانوا قد اصابوا بالعمى ، فقرروا الذهاب إليها • وحين جاءها الحاج سأله تلك المرأة النبيلة : - ماذا تريد ؟

فأجابه الحاج : عندي اخ أصابته عاهة ، وقد سمعت أنك تشفين المصابين بالعاهات •

فقلت المرأة : - اذا لم تخبرني بكل ما فعلته من السيئات تجيء
الآخرين لا أستطيع أن أشفيك •

فأخبرها الأخ بما فعله بزوجته أخيه التي كانت أمانة في عنقه •
فشفته المرأة بعد أن اعترف لها بالحقيقة • وكذلك فعلت بالأجير
وبالصل ، اللذان اعترفا أيضاً بما قاما به فشفتها (١٩) •

وقالت : - لقد أسأتهم إلي بكل هذه الأفعال السيئة !

ومن ثم قالت المرأة للحاج : - هل تعرف امرأتك اذا شاهدتها ؟
فقال : - انها تشبهك قليلاً •

فقلت المرأة : - أنا بعينها ، وقد عانيت من كل هذه الأفعال
التي رواها هؤلاء •

فعاد الحاج وأخذ زوجته (٢٠) •

٣ - ((عهد عقد الزواج))

قصة من الادب الشعبي

كان هناك اخوان يعيشان وحدهما في البيت ، كانا يعدان الأذن
ويغسلان وحدهما • وفي أحد الأيام قال الكبير للصغير : - لماذا
لا تتزوج لكي لا نعاني هكذا في حياتنا ؟

وفعلا تزوج الكبير ، تزوج امرأة ليس لها مثيل ، امرأة صالحة
وشريفة •

وبعد سنتين مرت ظروف سيئة للغاية •

فدعا الكبير زوجته وقال لها : - يا امرأة ، أريد أن أغترب لا أكسب
شيئاً ، فهل تنتظريني ؟

- وكيف لا أنتظرُك يا زوجي ، أجابته المرأة ، اذهب واتمنى لك
التوفيق ، فأنا سأبقى وفيّة لك ولن أقترن بأحد •

- هل أنت مدركة لما تقولين ؟

- نعم •

- فدعا أخاه الصغير وقال له : - سأذهب الى بلاد الغربيّة
وسأترك لك زوجتي أمانة ، كي ترعاها ولا تتركها في حاجة •

- في أمانة الله ، أجابه الأخ ، سأرعى زوجتك أحسن مما أرعى
أختي • اذهب ، رافقتك السلامة !

وذهب الأخ واختفت أخباره • وفي أحد الأيام قال الأخ الصغير
في نفسه : - كيف اجعل هذه المرأة التي عندي في البيت زوجة لي ،
طالما أن أخي قد اختفى في الغربة ؟

واقترع أن يأخذها وقال لها : - يا امرأة ، لننزوج معاً ، ألاوأنت •

- كيف تنزوج ، أجابته المرأة ، وأنت سلفي ! لا ، لا يسكن
أن يمس جسدي أحد قبل أن يعود زوجي أو قبل أن أسمع بموته •

فحاول مرارا الأخ الصغير ، الا أن المرأة رفضت بأسرار .

في ذلك البلد كانت العادة تقضي بدفن المرأة حية في النراب اذا ضبطت بالفعل الشنيع .

فقام الأخ الصغير من غيظه لرفض المرأة ، فأشاع انه ضبطها تمارس الفعل الشنيع ، فأخذوها ودفنوها حية .

ولكن في ذلك الطريق صادف مرور سيد على حصانه ، بالقرب من قبر تلك المرأة الشريفة ، فسمع أئينها .

— هه ! لقد دفنوا احد الناس حياً هنا ، لماذا لا أنقذه لأجل الثواب ؟!

وأمر هذا أجيره أن يفتح القبر وأن يخرج المرأة الحية .

— لماذا أخرجتني ؟ سألته المرأة .

— لأجل الثواب فقط أجابها الرجل . ولكن لماذا وضعتك هنا ؟

فقصت المرأة ما جرى لها مع زوجها وأخيه .

فتألم السيد وقال لها : — هل تأتين للخدمة عندي ؟

— ومن عندك في البيت ؟ — سألته المرأة .

— عندي زوجة وطفل وأجير .

وذهبت معه الى البيت ، وهناك أخذت تقوم بعملها باهتمام ، مما

جعل الجميع يعطفون عليها ، وحتى أن الطفل كان يحبها كأمه وكان
ينام معها في كثير من الأحيان •

إلا أن الأجير وضع عينه عليها ، وحاول عدة مرات أن يقنعهها
بالزواج منه . ولكنها رفضت ومن غيظه : فام الأجير في إحدى الليالي
فقتل الطفل وهو على صدرها ، لكي يلقي السيد القبض عليها ويدفنها
حية • إلا أن زوجة السيد قالت له : هذا لم تقتل الطفل ، بل الأجير!

فطرد السيد الأجير ، وأعطى المرأة ثلاثين ليرة ، فأخذتها وذهبت •
وفي الطريق ، شاهدت جمعا من الناس عصبوا عيني شخص لاحرقه،
فسألتهم : لماذا تريدون احرقه ؟

فأجابوها : - . عليه دين ثلاثون ليرة ولا يستطيع سدادها •

قالت المرأة : هاكم ثلاثين ليرة واتركوه •

أعطتهم النقود وذهبت في سبيلها ، ففكوا العصاة عن عيني الرجل
وأطلقوه •

سأل الرجل : لماذا لا تحرقوني ؟

— لقد دفع أحدهم ثلاثين ليرة لأجلك •

— ومن دفعها ؟

— امرأة مرت من هنا •

— وأين اتجهت ؟

— في هذا السبيل .

فذهب الرجل وراءها الى أن لحقها .

— هل أنت التي دفعت ثلاثين ليرة لانتفاذي من الحرق !

— نعم .

— ولم أنقذني ؟

— للشباب فقط ، وإن أحدهم أنقذني مرة .

— لنتزوج معاً !

— لا ، لا يمكن . زوجي في الغربة ولا يمكن أن يمس رجل

غريب جسدي قبل أن يعود زوجي أو قبل ان أسع بموته .

يمكن ! لا يمكن ! وأخذ الرجل يلح عليها . الا أن المرأة رفضت
بإصرار . ومن غيظه أخذها وباعها بثمانين ليرة لصاحب أحد
المراكب .

أخذها صاحب المركب وأبحر بها ، الا أن عاصفة عنيفة هبت
وأطاحت بالمركب ومن عليه ، ماعدا المرأة التي وصلت سليمة الى
الناحية الأخرى .

— الآن ، قالت المرأة ، سأغير ملابسني لأن الناس لا يتركونني في
أمان .

فغيرت ملابسها ولبست ملابس رجل مجري ، وبعد فترة وصلت الى مدينة كبيرة ، اكان ملكها مصاباً بالعسى • وكان هذا الملك قد جرب الكثير من الأدوية والأطباء ، الا أنهم عجزوا عن شفاائه •

وحين شاهد رجال الملك ذلك المجري سألوه : — هل تعرف أن تشفي ملكنا ؟

— نعم ، يسكنني أن أشفي الملك •

فأخذها رجال الملك ، وفعلاً تسكنت من شفاائه حيث استرد بصره كما كان سابقاً •

— ماذا تريد الآن ؟، سأل الملك ذلك المجري، هل تريد أموالاً ؟ هل تريد قصوراً ؟ هل تريد زعامة الجيش ؟ ماذا تريد ؟

— لا أريد شيئاً ، أجابه المجري ، أريد فقط غرفة مغلقة لأجلس فيها وحيداً وتعطوني ما أكل وما أشرب •

فخصص له الملك غرفة وأعطاه ما يأكل وما يشرب ثلاث سنوات • وكان يعود اليه للمستورة في كل ضائقة تسر به ، فكانت أموره تسير على ما يرام حين كان يأخذ بنصائح المجري •

وبعد ثلاث سنوات أحس الملك باقتراب أجله ، فدعا المجري وقال له : عليك أن تجلس على العرش من بعدي ، لأنك شفيتني وأرشدتني ولا يمكن أن أجد رجلاً أحسن منك لحكم هذا الشعب •

وبعد موت الملك تسلم المجري الحكم ، وحكم الشعب بحكمة ، حتى ذاع صيته في أطراف العالم بكونه يشفي العميان •

وفى أخذ الأيام جاء الى القصر زوجها مع أخيه ، الذي أصيب بالعمى بعد أن دفنها حية ، كما جاء السيد مع أجيره الذي عمى أيضاً بعد أن قتل ولده ، وجاء أيضاً ذلك الرجل الذي كانوا موشكين على احراقه ، والذي أصيب أيضاً بالعمى بعد ان باع المرأة لصاحب المركب . ولم يتعرف أحد من هؤلاء على المجري .

— ماذا تريدون مني ؟ ، سألهم الملك .

— لريد أن تشفي عيوننا .

— لا أستطيع أن أشفيكم الا اذا أخبرني كل واحد عن ذنبه .

وجمع الملك شعب مملكته وقال لهم : أنا أعرف ماذا فعل كل واحد من هؤلاء حتى أصيب بالعمى ، ولكن أريد أن تسمعوا الى ذنوب هؤلاء من أفواههم .

فاعترف كل واحد منهم بذنوبه التي اقترفها تجاه المرأة (٢١) .

حينئذ توجهت الى الشعب قائلة : — الآن سأشفيهم بعد أن اعترفوا بذنوبهم . . .

فلمست عيون هؤلاء الثلاثة فشفوا . بعد ذلك دعت زوجها

جانبا وسألته : — هل تريد أن تتزوج ثانية ؟

— لا ، طالما كان لدي امرأة صالحة وشريفة ، تلك التي دفنوها حية . لقد صدا قلبي ولن أتزوج بعدها .

وحين رأت الملكة وفاء زوجها عرفته على نفسها ، ومن ثم جعلته ملكاً وبقيت هي ملكة وحكما الشعب بحكمة وعدالة لسنوات طويلة (٢٢) .

«أروى»

المشهد الاول من مسرحية

أحمد تشيريزي

(مع افتتاح الستارة نرى أروى مع زوجها ، احدهما مقابل الآخر الزوج جالس على أن أروى واقفة على قدميها . في هذه اللحظة يدخل أخو الزوج) .

الأخ : لماذا دعوتني يا أخي ؟ ها قد جئت .

الزوج : حسناً فعلت يا أخي ، شكراً لك .

الأخ : لا تشكرني ، بل أخبرني بسرعة فلدي وقت كثير ، لدي أعمال هامة تنتظرنني .

الزوج : لا تنفعل يا أخي ، تذكر ما أسديت لك من خدمات .

الأخ : هل تريد أن تتكلم أو أذهب ؟

الزوج : علي أن أذهب الى بلاد الغربة يا أخي .

الأخ : الى بلاد الغربة !!

الزوج : نعم يا أخي ، الى بلاد الغربة • ولذلك دعوتك لأخبرك
أين تجدني فيما لو حدث شيء ما •

الأخ : آه يا أخي !

الزوج : علي حين أن البيت سأتركه دون رجل،ولو لم تكن أنت ••

الأخ : نعم ••

الزوج حيث ألني أثق بك ، لكان القدر أقسى لي والفراق أصعب
بكثير •

الأخ : آه يا أخي العزيز •••

الزوج اسمع يا أخي ، سأترك لك عبئاً ثقيلاً ، كحجر الطاحون،
حيث أنني سأسافر الى الغربة •••

الأخ : تفضل يا أخي ، فكلي اذان صاغية ، تكلم وثق بي •••

الزوج : سأترك بيتي وزوجتي أمانة في عنقك •

الأخ : آه ••••

الزوج : حيث أن الأمور أرادت هكذا •

الأخ : يا أخي ، يمكنك أن تذهب الى نهاية العالم ، فأنا سأرعى
أروى كما سأرعى حياتي ، كما أرى •••

الزوج : يا أخي هذه المرأة بحاجة الى المساعدة والحماية ، حيث لا يجب أن يفكر المحيط بأنها وحيدة ، كما لا يجب أن تكون في أفواه الناس • اعتن بها كي لا يمسها أحد بشر ، وكن قريباً منها في الليل والنهار • لا تتركها في ذائنته ، فأخو الزوج كالزوج ، كما يقولون ، وكما هو حقيقة •

الأخ : نعم ، هكذا حقيقة ••

الزوج : اذن سأترك لك أمانة في عنقك •

الأخ : رافقتك السلامة !

الزوج : أنتظر قليلا ، لأودع أروى ، وبعد ذلك ودعني وتمن لي التوفيق • « بأكياً » يعزيتي أروى ، هل تتمنين لي سفراً موفقاً ؟

الأخ « بصوت خافت » : تحرك يا أخي ، لا تخرج نفسك وتخرجها لا يجب أن تبكي في سبيل امرأة !

الزوج : « لأروى التي تبكي » : أروى ، لا تبكي ! سأتركك أمانة في عنق أخي • أروى ، يا جميلتي الوفية !

أروى « بعد أن أمسكت نفسها عن البكاء » : اذهب يا زوجي حيث يريد لك القدر • سأبقى وفية لك حيث تراكني ، وحتى لو نركتني فوق حجر جاف !

الزوج : أروى !

أروى : وداعاً ! أتمنى لك سفراً موفقاً وعودة بالسلامة .

الزوج : ! « يغادر مصحوباً بالضوء . ومع شحوب

الضوء يبقى صوته مسموعاً وداعاً ... وداعاً .. أروى .. أروى ..

أروى : « ملتفة الى الجهة التي غادر منها الزواج » وداعاً .. وداعاً

« الأخ يجامل أروى ببعض الكلمات على حين أنه ينظر إليها
نظرة ذات مغزى »

الأخ : دعي الحزن ، فالحزن يسيء الى جمالك ... تعالي

أروى : اذهب ، أريد أن أبقى وحدي .

الأخ : لا تستطيعي بحزنك أن تفعلي شيئاً ، سوى أن تدفعي
نفسك الى المرض .

أروى : اتركني ، لدي رغبة في البكاء .

الأخ : لا ، لن أتركك ! لقد وعدت أخي برعايتك !

أروى : أرجوك يا سلفي ...

الأخ : لا ترجوني .. علي أن أعنتي بحياتك ، بأكلك ولباسك ،
وفيما لو مرضت ماذا سيقول أخي حين سيعود ، هذا ان عاد يوماً ما !

أروى : سيعود ، حتى بعد وفاته .

الأخ - طبعاً • على كل حال، أنا مكلف بالاهتمام بك •• تعالي
الآن •••

أروى : اتركني لأبقى وحسدي الى الغد •

الأخ : لن تبقي وحدك !

أروى « بعزم » : أرجوك يا سلفي ! « تخرج وهي تغطي وجهها
بيديها كأنها تتنبأ بسوء سيحدث لها » •

الأخ : « بعد خروج أروى » : ولماذا لا يا أروى الجميلة • هذا
الطريق أفضل ، قد يكون أطول ولكنه يوصل بالتأكيد • الآن لدي
وقت • لقد تركك بين يدي •

« الضوء يختفي تدريجياً » (٢٣)

الهوامش

(*) نشرت للمرة الأولى في مجلة ((المعرفة)) عدد ٢١٨ ، دمشق
نيسان ١٩٨٠ •

(١) راجع من ذلك ((مؤثرات عربية في القصص الشعبية اللبنانية))
التي نشرناه في المعرفة عدد - ١٩١ - ١٩٢ عام ١٩٧٨ •

(٢) استفدنا في هذه الدراسة من الطبعة المصرية لـ ((الف ليلة
وليلة)) التي أخرجها رشدي صالح القاهرة - ١٩٦٩ •

(٣) تمتد هذه القصة على صفتين من الحجم الكبير . المصدر السابق ص ٧٢٨ - ٧٣٠ .

(٤) وداد سكاكيني ، أروى بنت الخطوب ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٤٨ .

(٥) هنا اكتفينا فقط بتناول الموضوع ، دون الخوض في الأمور الأخرى ، التي يمكن للقارئ أن يستفيد منها في دراسة د . حسام الخطيب في ((المعرفة)) أيضاً عام ١٩٧٧

(6) Historia e Ietersise shqipe, prishtine 1975, f . 216

(7) Dr. Hasan kaliesh, Ndikimet orientale ne tregimet popullore shqiptare, Euletini i Muzeut te kosoves xi (1971 - 1972) f . 26

(8) Historia e letersise f. 216

(9) Nga letersija shqipe, Prishtine 1951 f . 96

(10) M.Mufaku, ((Erveheja ne perrallat popullore)) , Rilindja 6.1.1979

(11) H. Kaleshi, Ndikimet orientale f . 26

(12) Historia e letersise f . 219

(13) Dhimiter S. Shuteriqi, Shkrimet shqipe ne vitet 1880-1850, Prishtine 1978, f . 218

(١٤) رواية سكاكيني امتدت ١٣٠ صفحة من القطع الصغير .

(15) Foloklore shqiptar - proza popullore II , Tirane 1966
f . 407

(16) Halil Kajtazi, proza popullore e Drenices II, Prishtine
1972, f . 33

(17) Vehap Shita , kur ndizen dritat, prishtine 1977 , f.

27

(18) Jehona, Shkup, 1 - 1978 , f . 109 - 153

19) Dhimiter S. Shuteriqi, Antologjia e letersise shqipe,
prishtine 1972 , f . 56 - 58

(۲۰) ههنا حذفنا تکرارا لا لزوم له ، حیث یعید کل واحد

بالتفصیل ما جری معه .

(21) H. Kajtazi, proza popullor f . 33-35

(۲۲) ایضا حذفنا ههنا تکرارا لا جاء فی اعترافات هؤلاء .

(23) Foloklori shqiptar - proza popullore f. 407- 411

(42) Jehona , f . 110 - 112

★ ★ ★

الثورة الجزائرية في الشعر الألباني

من المعروف ومن المتعارف عليه أن الثورة الجزائرية ، وبما كانت تشمله سواء للجزائر أو للبلدان المجاورة والبعيدة ، قد ألهمت خيال كثير من الشعراء في مختلف البلدان وأتس هذا « شعراً جزائرياً » ينطق بلغات كثيرة .

وعلى هذا الأساس فإن الأمر لا يتعلق باستثناء ، حين نعالج حضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني ، بل إن الأمر يتعلق بظاهرة أعم تشمل خريطة واسعة . ولكن هذا لا يعني بطبيعة الحال أن حضور الثورة الجزائرية لا يختلف من بلد إلى بلد ومن لغة إلى لغة ومن شعر إلى شعر . ويمكن أن نقول هنا أن طبيعة هذا الحضور يفترض أن يكون أحد المؤثرات لطبيعة العلاقات التي ربطت أو تربط ما بين هذا الشعب أو ذلك مع الشعب الجزائري .

وهكذا يمكن أن نضيف هنا أن ما نجده في الشعر الألباني من قصائد عن الثورة الجزائرية لا يعبر عن أصوات فردية ضمن مجموعة من الشعراء بل إنه يعبر عن حالة جماعية ، وبالتحديد عن معاناة الشعب الألباني ككل للثورة الجزائرية منذ انطلاقها وحتى انتصارها . وربما هذا لا يكفي لتفسير الحضور الجزائري في الشعر الألباني،

ولذلك قد يكون من المفيد أن نذكر هنا الصلات التاريخية بين
الشعبين لأنها قد تساعدنا على تفهم هذا التعلق الألباني «بالموتينات»
الجزائرية •

وفي الواقع إن الصلات الألبانية - الجزائرية هي أقدم وأعمق
مما قد يبدو • فقد عاش الشعبان الألباني والجزائري ضمن دولة
واحدة ، الامبراطورية العثمانية ، أربعة قرون حافلة بالتداخل العرقي
والنشاط التجاري والعسكري والروابط الثقافية المشتركة •

فقد كان عروج وأخوته ، الذين حرّروا الجزائر من الاسبانيين ،
من الألبانيين كما كان خير الدين وابنه حسن باشا من أوائل
الألبانيين الذين أصبحوا حكاماً برغبة السكان ثم باسم السلطان
العثماني (١) • وبعد هؤلاء كان لدينا في الجزائر خلال القرون
اللاحقة بعض الحكام والكثير من العناصر العسكرية الألبانية،
وخاصة من البحارة الذين كانوا يشكلون القوة الضاربة للنشاط
البحري ، أي الجهاد بالمفهوم المحلي والقرصنة بالمفهوم الأوروبي (٢) •
وبسبب هذا التدخل فقد كان من الطبيعي أن ينتقل بعض الجزائريين
الى الوسط الألباني ، وأن يؤدي هذا الى اختلاط الدم عن طريق
الزواج • ومن هذا بقي لدينا الى اليوم أحفاد أولئك الجزائريين
والجزائريات ، الذين يتميزون بملامحهم وخاصة في مدينة اولشين التي
تطل على البحر الأدرياتيكي ، والتي كانت تعتبر « عاصمة القراصنة »
خلال القرون المذكورة (٣) •

وبالاستناد الى هذا فإن الجزائر لم تكن بلداً غريباً ولا بعيداً
عن الألبانيين خلال القرون الماضية • ولكن الأمر يختلف بطبيعة الحال

مع الاحتلال الفرنسي اذ تعرضت هذه الصلوات الى اندماج هرس
بالعنف طيلة فترة الاحتلال * وفي هذه الفترة كان الشعب الالباني
يتابع كفاح الشعب الجزائري ، وخاصة بعد أن أصبحت له دوله
قومية منذ ١٩١٢ ، ولاسيما بعد اندلاع الثورة الجزائرية التي
تتوجت أيضاً بتأمين الاستقلال للشعب الجزائري * وبلاستناد الى
كل هذا فقد كان من الطبيعي أن تسارع البانيا الى الاعتراف فوراً
بالدولة الجزائرية وإقامة العلاقات المتنوعة منذ السنة الأولى للاستقلال،
أي منذ ١٩٦٢ ، وان تحتفل ألبانيا هذه السنة وبشكل ملفت للنظر
بذكرى مرور ربع قرن على تجدد العلاقات بين الدولتين والسبعين *

ومن هنا فإن حضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني لا يمكن
أن يعزل عن هذه الأرضية التاريخية * فالشاعر الألباني كان لا يكتب
عن الثورة الجزائرية كفرد يدعو للتضامن مع شعب بل كان يعبر
فيما يكتبه عن قضية تعيش دائماً في الذاكرة الألبانية ، وبالتحديد
عن الأخوة الآخرين الذين يعيشون على الطرف الآخر من البحر
« المتوسط » * وهنا لا بد أن نوضح أن تعبير الأخوة *Vellazer*
والأخوة ، الذي يتكرر في الشعر الألباني، يأتي هنا في المعنى الأوسع
— أي الأخوة في الدين والتقاليد والتاريخ المشترك والكفاح الواحد
في سبيل الاستقلال (٤) *

وفيما يتعلق بحضور الثورة الجزائرية في الشعر الألباني يلاحظ
ان أولى القصائد لدينا تعود الى سنة ١٩٥٨ * وهنا لا بد ان نوضح
أولاً أن هذا البحث يفترض ان يتسلسل فرعي الشعر الألباني ، أي
في يوغسلافيا وألبانيا ، ولذلك يحتمل أن تكون قد خرجت من أيدينا
بعض القصائد خلال ١٩٥٦ — ١٩٥٨ نتيجة لبعض العقبات * ومن

ناحية أخرى يمكن أن تكون فترة ١٩٥٨ - ١٩٦٣ هي الفترة الأخصب
فيما نشر عن الشعر الألباني عن الثورة الجزائرية ، أي ألا يكون
قد فاتنا شيء قبل ١٩٥٨ . وربما ليس من المصادفة أن تتطابق
هذه الفترة مع الفترة المجيدة من عمر الثورة الجزائرية .

وفي هذه الحالة فانه من المتعارف عليه هنا أن الشعر لا يفترض
فيه أن يسجل الأحداث فوراً ، بل انه يحتاج الى فترة اختبار قبل
أن يعبر عن هذه الأحداث بطريقته الخاصة . وفي هذه الحالة فإن
الفيض الشعري قد يبدأ متأخراً ولكنه ينتهي متأخراً أيضاً ، لأن
حضور الثورة في الشعر لا يمكن أن ينتهي في لحظة انتصارها . وفي
الواقع ان هذا ينطبق أيضاً على الشعر الألباني حول الثورة الجزائرية،
اذ أنه بدأ سنة ١٩٥٨ ولكنه بقي مستمراً حتى سنة ١٩٦٩ .

وهكذا اذن سنعتبر هنا ان سنة ١٩٥٨ هي السنة التي بدأت
تبرز فيها الثورة الجزائرية في الشعر الألباني . ففي هذه السنة نشر
الشاعر صلاح الدين أحمد Selatin Ahmei قصيدة بعنوان «الصحراء
الدائمة» التي أهداها الى « المناضلة الجزائرية الشابة » جميلة
بوحريد والتي خصها بيورتريه من رسم يده .

وفي هذه القصيدة يركز هذا الشاعر على وصف التعذيب الذي
كائن تتعرض له المناضلة بوحريد كرمز لتعذيب شعب بكامله . ومن
هنا يبدو لنا الحوار بين رجال التعذيب وجميلة بوحريد كحوار بين
شعب وجلادية :

لقد رميتهوني هنا

في الظلام

وتريدون الآن

أن تمحوا من عيوني

القطر الدافئ

توطني !

تقترب السكين الحادة

وهي تشير الخوف :

تكلمي !

أين رفاقك ؟

((في كل العالم ،

هنا في قلبي ؟))

تنفّس السكين

فيخرج الدم من الصدر (٥) •

وفي السنة اللاحقة ، أي ١٩٥٩ ، نشرت في مجلة « انصياة
الجديدة » قصيدة « أغنية الشاعر الجزائري للشاعر رجب كلمندي
Rexhep kelmendi وفي هذه القصيدة نجد أن الشاعر كلمندي يحاول
أن يتقمص مشاعر زميله الشاعر الجزائري الذي يفاجئه الموت قبل أن
يكتب قصيدته التي طالما تمنى أن يكتبها لتُنشد في يوم الحرية :

يا للعجب !

هل يمكن أن أموت

وإن انشد اغنيتي؟

والأمل الأخير !

أنا الذي غنيت

للحرية

التي تفرق اليوم بالدم ! (٦)

وخلال سنة ١٩٦٠ نشرت مجلة « الحياة الجديدة » قصيدة جديدة
بعنوان « الجزائري » للشاعر محرم شاهيتشي *Muharrem Shahiqi*
وكما في القصيدة السابقة فإن الشاعر شاهيتشي يفوض في أعناق
المشاعر الجزائرية لكي يتكلم كجزائري عما يحدث في محيطه :

طيلة النهار

اجتر الرصاص

بأسناني ،

وطيلة الليل

أحمل الفولاذ

على صدري ،

ولكن لا أمل أبدا

من انتظار شرارة

كالطفل الذي لا يعمل

من صدر أمه • (٧)

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

وفي السنة ذاتها ، أي خلال ١٩٦٠ نشرت مجلة « صوت الشباب »
مقطوعات شعرية وثريّة للشاعر ابراهيم جوري *Ibrahim zhuri*
بعنوان « مقاطع من يوميات جزائري »، وهنا أيضاً نجد محاولة أخرى
للتغلغل في مشاعر ونفسية الانسان الجزائري ، الشيء الذي له مغزاه
بطبيعة الحال • ففي المقطع الأول يتحدث الشاعر جوري بلسان
الجزائري ولكن بعواطفه أيضاً :

حين تنتصت علي الأعداء

في المكامن

اتكلم غالبا مع نفسي ،

مع الحرب وما تخلفه الموت ...

وهكذا تلد أشعاري •

وفي مقطع لاحق نجد حواراً بين المقاتل الجزائري وبين الموت :
« لقد كنت دائماً على إيمان عميق بالروح ، لأن فيك أيها الموت يلد
فعلا الانسان ... وفي نهاية هذا « الحوار مع الموت » يختتم الشاعر
جوري هذه المقاطع بالأبيات التالية :

وهكذا لتكن اشعاري
الى ان تاتي لحظة الموت .

أيها العالم ،

هكذا هي أغنيتي السوداء ،

من الحرائق ،

في الجهات الأربع . (٨)

وفي السنة اللاحقة ، أي خلال ١٩٦١ ، نشرت مجلة « صوت
الشباب » قصيدة طويلة للشاعر محمد أكرفيشي *Muhammed kerveshi*
بعنوان « حديث بين اثنين من مشوهي الحرب » والجديد في هذه
القصيدة ، التي تتجاوز آياتها الستين ، هو تخيل الشاعر لحديث بين
أب وابنه وجدا ذاتها فجأة من مشوهي الحرب ، حيث أن الأب مثلاً
فقد قدمه وبقي الآن يقتله الشعور بالعجز عن اللحاق برفاقه
للمشاركة في القتال في سبيل الحرية :

ليست قدمي

مصدر المي ،

بل انني على استعداد

للتضحية بالقدم الاخرى

وبكل جسمي

وفي سبيل وطني .

ولكن يؤلمني

تني أصبحت عاجزا

من حمل البندقية

والقتال مع الرفاق

في سبيل الحرية •• (٩)

وخلال ١٩٦٢ نشرت مجلة «صوت الشباب» أيضاً قصيدة

جديدة للشاعر مقصود شيخو *Maksut Shehu* بعنوان « الحرية

للجزائرية » • وفي هذه القصيدة الطويلة ، التي تقارب أبيتها الخمسين ،

يكشف الشاعر شيخو عن الموت على الطريقة الجزائرية ، وبالتحديد

عن مغزى سهولة الموت وذلك من خلال حوار بين فتاتين جزائريتين :

((الموت سهل

في سبيل الحرية !))

هكذا قالت

صديقتي باعتزاز •

لا أعرف ،

لا ،

فهي لم تصد

لم تات

لتخبرني
كم هو الموت
سهل +
يجب أن يكون سهلاً
الموت
لأن الحياة
بقيت في قلبي
كشوكة صدئة
.....

الموت سهل
في هذا العالم ،
عالم الاستعباد
والجنازير
والمعتقلات ،
حيث لا توجد
الحريّة ،
ولا الأخوة ،
ولا المساواة + (١٠)

لقد نشرت هذه القصيدة في منتصف سنة ١٩٦٢ ، أي في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تفرح بانتصار ثورتها ، وهو الحدث الذي كان له صدهاء في كل مكان . وهكذا فقد كان من الطبيعي أن يجد هذا الحدث صدهاء في الشعر الألباني أيضاً . ففي ١٩٦٣ نشرت مجلة « الحياة الجديدة » قصيدة للشاعر ذكرير كرفالا Zeqir Kervilla بعنوان « الفخر الجزائري » ، وفي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن تقديره لافتخار الجزائريين بالنصر الذي أحرزوه ، ثم يعبر أخيراً عن مشاعره الطاغية كالألبياني يتوجه بالحديث إلى « الأخوة » إلى « أبناء الأم الواحدة » .

لتفتخر الأرض الجزائرية
في عيون الأجيال القادمة ،
ليفرح قلب كل أم
بالشمس الحمراء في الفجر .
لجميلة كهذه الجزائرية
ببكي قلب كل وطني ،
يا أخوة الدم ، يا أبناء الأم الواحدة ،
لقد طفح الدمع في عيوني ٠٠٠ (١١)

ومن تلك الفترة أيضاً لدينا قصيدة أخرى للشاعرة آدلينا ماماتشي Adelina Mamatshi بعنوان « أغنية الفتيات الجزائريات » ، تلك التي نشرت في وقت متأخر في مجلة « صوت الشباب » . وتتميز هذه القصيدة بكونها تعبر عن مجموعة أصوات نسائية بحيث يتردد مقطع لكل صوت لكي يوجز لنا ما أصابه خلال الاحتلال :

لقد قتلوا أختي وأخي المسكينين ،
قطعوا آذاننا وتركونا دون عيون ،
ثم أرسلوا كل ذلك كهدايا الى فرنسا
الى الأخ والعشيقه والاب والام

لقد قتلوا لي صديقي ، صديقي العزيز ،
قتلوه عند البئر حين كان يستخرج دم هذه الأرض ،
لقد أصبحت الحياة التعيسة دونه مظلمة في عيوني
اذ ان الموت قد خطف معه قلبي .

لقد قتلوا لنا الآباء والأزواج
لقد قتلوا الجميع ،

هـ - كم هي مرة هذه الدموع ،

وكم هي التعاسة في ان تبقى يتيما في العالم ! (١٢)

إن ما يلفت النظر في هذه القصائد هو أن معظمها قد كتب
ونشر في يوغسلافيا ، أي يخصّ فرع الأدب الألباني في يوغسلافيا .
وفي الواقع لقد كان الألبانيون قد انقسموا بشكل متساو تقريبا بين
الدولتين الجديدتين في مطلع هذا القرن ، أي يوغسلافيا وألبانيا ،
وأصبح الأدب الألباني بالتالي يتوزع على هذين المركزين . ومما
لا شك فيه أن هذه القصائد ، التي تمجد الكفاح في سبيل الحرية
وتدين الارهاب ، كانت تساهم في شحن الألبانيين بدفقات من التصميم
على الصمود في وجه الارهاب المحلي ، وبالتحديد في وجه إرهاب
أجهزة دولة الأمن التي تعرّت وسقطت في صيف ١٩٦٦ ، بعد أن

كادت تنجح في تئيس الألبانيين من حياتهم في يوغسلافيا ، وبالتحديد من المساواة القومية مع بقية الشعوب اليوغسلافية (١٢) .

في أواخر تشرين الأول وأوائل تشرين الثاني ١٩٨٧ عقدت في تيزي اوزو بالجزائر ندوة دولية حول « الثورة الجزائرية في الآداب العالمية » . وقد دعي حينئذ للمشاركة في هذه الندوة من يوغسلافيا د . محمد موفاكو و د . داركو تاناسكوفيتش ، وهما أحداً لاسهامات التي ألفت في هذه الندوة ، وقد نشر لأول مرة في « الموقف الأدبي » عدد ٢٠ ، دمشق ايلول ١٩٨٩ .

١- تجدر الإشارة هنا الى مداخلة المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي أشار الى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار وجود عدة روايات حول أصل عروج وأخوته . وفي الحقيقة ، لا يوجد تناقض ، كما يبدو للوهلة الأولى ، بين الروايات التي تصفهم أحياناً كالألبانيين وأحياناً كيوفانيين وحتى كأتراك . ويبدو لنا أولاً أنه من الأهمية أن نشير الى أن المصادر الأوروبية التي تعود الى بداية القرن السادس عشر ، الى العصر الذي عاش واشتهر فيه عروج وأخوته ، قد ذكرت بوضوح أن هؤلاء من الألبانيين ، مما يدل على أن هذا كان حقيقة معروفة منذ ذلك الحين:

A. H. Lybyer, The Government of the Ottoman Empire at the Time of Suleiman the Magnificen, London 1913 , P . 246 .

وفي الحقيقة أن الألبانيين ينتشرون في كل بلاد البلقان ، ولذلك يحدث كثيراً أن ينسب أحدهم الى البلاد التي يعيش فيها : روماني،

بلغاري ، يوغسلافي ، يوناني الخ . ولذلك فمن هنا تنبع تلك الروايات التي تعتبر عروج وأخوته من اليونانيين ، وهم في الحقيقة من ألبانيي اليونان . وهنا تجدر الإشارة الى أن الألبانيين كانوا يشغلون عنصراً مهماً في المناطق الحالية التي تتألف منها اليونان الآن . ويكفي أن نذكر هنا أن أثينا حين أصبحت عاصمة لليونان المستقلة سنة ١٨٣٢ كان سكانها لا يتجاوز عددهم ثمانية آلاف نسمة وكان أقرب قرية لها هي مينيدي ، التي يتألف سكانها من الألبانيين . ومع الزمن توسعت أثينا وأصبحت مينيدي وغيرها من قرى الألبانيين جزءاً من المدينة ، التي احتفظت أحيائها بأسمائها الألبانية :

Rexhep Zllatko, Me arbereshet, Prishtine 1976 .

وبعد حوالي نصف قرن ، أي بعد أن توسعت أثينا كثيراً ، نجد أن مجلة « الجنان » اللبنانية تذكر خلال ١٨٨٢ أن الألبانيين يتميزون بسهولة في السهول المحيطة بالمدينة : البشر ، الجنان ، ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٢ ، ص ٦٩٦ .

أما فيما يتعلق بالروايات التي تصف عروج وأخوته بـ « الأتراك » فمن الضروري هنا أن نأخذ بعين الاعتبار أن المصادر الأوروبية كانت تستخدم عادة تعبير « الأتراك » كمرادف لـ « المسلمين » ، بينما نجد أن الكتابات العربية المتأخرة تستخدم هذا التعبير دون تمييز حين تتحدث عن « الولاة الأتراك » . وفي الواقع أن المصادر الأوروبية تميز عادة بين قومية الولاة ، الذين ليسوا أكلهم طبعاً من الأتراك .

٢ - حول الوجود الألباني في الجزائر لدينا فصل كامل في أطروحتنا للدكتوراة :

Dr. Muhamed Mufaku, Prania e shqiptareve ne boten arabe gjate shek . xviii- xix dhe ne fillim te shek-xi, Prishtine , F. Filozofik, 1986

٣ - حول هؤلاء الأحفاد الجزائريين يميل بعض الباحثين الى الأخذ بالرواية التي تقول ان ٤٠٠ من المجاهدين أو القراصنة الجزائريين قد استقروا في هذه المدينة في أواخر القرن السادس عشر، مما ساهم هذا في تطور الجهاد البحري أو القرصنة في هذه المدينة . أنظر مثلاً :

Pavle Pavlevic, Ulcin Ulcin 1977

وعلى كل حال لقد تحولت هذه المدينة الى جمهورية صغيرة وأصبحت تسيطر باسطولها على البحر الأدرياتيكي بينما تنتشر سفنها في كل البحر الأبيض المتوسط . وقد أقامت هذه المدينة - الجمهورية علاقات اقتصادية وتجارية مع الجزائر بشكل خاص والشمال الأفريقي بشكل عام . فقد كانت سفن اولشين تصدر للجزائر الفحم وتعود بالملح والمصنوعات اليدوية ، كما كانت تحمل معها العناصر البشرية للعمل في اولشين « في السفن أو في الزراعة أو للخدمة في البيوت » أو للزواج :

Dr. Qazim Lleshi, Ulqin - Shembull i nderitimit te rolit qytetes, kohl 6, Titograd 1980, pp. 641 - 674 .

Gjergj Benisha Kusaret e Ulqinit, Rilindja 19 - 21 . x . 1973 .

٤ - في هذا السياق يمكن أن تتفهم ما قيل خلال اللقاء الذي جمع بين وزير الخارجية الجزائري د . أحمد طالب الابراهيمي والرئيس الألباني رامز عليا خلال تسوز ١٩٨٧ . فقد أبرزت الصحف الألبانية ما قاله الرئيس الألباني بهذه المناسبة :

« إننا نشعر مع الأصدقاء الجزائريين بتقارب كبير ، لأننا قد وحدنا التاريخ والحروب والجهود في سبيل الحرية والاستقلال » :

Zeri : Popullit, Tirane 9-07-1987

(5) Selatin Ahmeti, Sahara e pergjakun, zani i rinise nr. 7, Prishtine 15.05.1958 .

(6) Rexhep Kelmendi, kanga e poetit algjerian, jeta s Re nr. 6, Prishtine 1959 .

(7) Muharrem shahiqi, Algjeriani, jeta e Re nr. 6, prishtine 1960

(8) Ibrahim Zhuri, dromca nga ditari i nji algjeriani , zani i rinise nr. 17, prishtine 10 . 11 . 1960

(9) Muhamed Kerveshi, Biseda e dy invalideve, zani i rinise nr. 8, prishtine 1961

(10) Maksut shahu, per liri Alegjerianes, zani i rinise nr 16 prishtine 1962 .

(11) Zeqir Kervalla , krenaria algjeriane, jeta e Re nr. 3, prishtine 1963.

(12) Adelina Mamiqi keng e vashave algjeriane zeri i
rinise nr.32, prishine 1969.

يتضح هنا أن نشر هذه القصيدة في يوغسلافيا قد تأخر حتى
١٩٦٩ ، بينما من المؤكد أن هذه القصيدة قد نشرت خلال ١٩٦٢ -
١٩٦٤ في ألبانيا . وللأسف لم نستطع حتى الآن التوصل الى مكان
وزمان نشر هذه القصيدة لأول مرة .

١٣ - للتوسع حول هذا راجع مقدمتنا :

سنان حساني ، الريح والبلوط ، مؤسسة الأبحاث العربية -
ذاكرة الشعوب ، بيروت ١٩٨٦ .



الحضور الفلسطيني في الأدب الألباني

في كل أدب هناك ما هو لحظي وادعائي وهناك ما هو ثابت وأصيل .
إن هذا الأمر بطبيعة الحال يشل أيضاً الأدب الألباني . إلا أن
الحضور الفلسطيني في هذا الأدب ليس سريحة لحظية أو ادعائية ،
بل انه تعبير عن الموقف المتميز للشعب الألباني إزاء المحيط الأوروبي
من حيث ارتباطه بفلسطين ، الشيء الذي يبدو بوضوح في أدب
هذا الشعب . ولا شك أن هذا الارتباط بفلسطين يسكن أن يفهم فقط
بالاستناد الى الروابط التاريخية من ناحية ، والى مغزى المصير
الفلسطيني للشعب الألباني من ناحية أخرى .

فمع توسع الامبراطورية العثمانية نحو الشمال « البلقان » ونحو
الجنوب « المشرق العربي » أصبحت المناطق الألبانية لعدة قرون جزءاً
من المشرق سواء بالمفهوم الجيوبوليتيكي أو بالمفهوم الثقافي -
الحضاري . وفي إطار هذا « المشرق » ، وبالتحديد هذه الدولة
الواحدة ، تقاسم الألبانيون العيش مع العرب ومع غيرهم من الشعوب
عدة قرون ، حتى مطلع القرن العشرين . وخلال هذه القرون الأربعة
الأخيرة اختلط الألبانيون بالعرب الى حد أن كثيراً من الألبانيين
بقوا في البلاد العربية ، وبالتحديد في فلسطين ، حيث استقروا هناك .

ومع هذا الاختلاط كان من الطبيعي أن تنشأ مشاعر جديدة وأن ينظر
الألبانيون الى فلسطين نظرة خاصة ، لاعتبارات دينية وغير دينية ،
أي كمكان مقدس يمكن أن يضحووا بحياتهم في سبيله . ويكفي أن
نذكر هنا ما فعله نابليون بونابرت مع الألبانيين الذين كانوا يدافعون
عن يافا خلال حصاره لها . فقد كان قد اعتقل بعد احتلاله للعريش
ثم لغزة عدة آلاف من الألبانيين وأطلق سراحهم على شرط ألا يعودوا
لقتاله ، ولكنهم ذهبوا الى يافا وحاربوا هناك الى أن فرض عليهم
الاستسلام . وقد أمر نابليون حينئذ بقتلهم ، وكان عددهم حوالي
ثلاثة آلاف ألباني ، في ١٠ آذار ١٧٩٩ وتركهم في العراء طعماً للجوارح
مما أثار عليه نقمة التاريخ . وقد تكرر هذا الموقف بعد قرن ونصف
حين أصبحت فلسطين مهددة بالخطر الصهيوني . ففي ذلك الحين
هب الألبانيون القاطنون في فلسطين ، بالإضافة الى المتطوعين القادمين
من سوريا وحتى من تركيا ، في مشاركة إخوانهم العرب في الدفاع
عن فلسطين من الخطر الذي يتهدها . وربما تجدر الإشارة هنا
الى أن أول رئيس للحكومة الفلسطينية التي أعلنت حينئذ في غزة ،
أحمد حلمي ، كان من الألبانيين الذين استقروا في فلسطين .

وبالإضافة الى تأثير الحياة المشتركة ، أو الى ذكريات تلك الحياة
التي انتقلت من الآباء الى الأبناء ، كانت فلسطين تنسب لاتباء
الألبانيين لسبب آخر ، ألا وهو مغزى المصير الفلسطيني بالنسبة
للألبانيين . فمن المعروف أن الألبانيين يعشقون الحرية والاستقلالية
ولذلك فقد كافحوا وعانوا كثيراً للحفاظ على حياتهم واستقلاليتهم .
ومن هنا فإن الألبانيين يقدرّون كثيراً كفاح الشعوب الأخرى ، سواء
المجاورة أو البعيدة ، في سبيل الحرية والاستقلال . ومن المعروف هنا

أن الألبانيين شاركوا بحماس كبير في الحركة القومية التحررية سواء في اليونان أو في إيطاليا خلال القرن التاسع عشر . ولهذا فإن مصير الشعب الفلسطيني يبعث في وسط الألبانيين ذلك الذي عانوه وعاشوه في الماضي .

تمتد الدياسبورا الألبانية عبر القارات الأربع : إلا أن الأدب الألباني الآن يعتمد على منبعين كبيرين ، ألبانيا ويوغسلافيا : حيث يتوزع الألبانيون تقريباً بالتساوي . ومع أن الأدب الألباني يعتبر وحدة لا تتجزأ إلا أن كل فرع في الواقع يتميز بنكهة خاصة . فالأدب الألباني في يوغسلافيا يتميز من حيث المضمون والشكل عن الأدب الألباني في ألبانيا ، وذلك لخصوصية التجربتين في هذين البلدين . وفي الواقع ان التجربة الغنية للشعب الألباني في يوغسلافيا أدت الى أن يغتني هذا الفرع من الأدب الألباني بالموتيفات الخارجية . فمن المعروف أن الشعب الألباني في يوغسلافيا عاش خلال ١٩١٨ - ١٩٤١ وضعاً لا يحتمل بعد أن مورست ضده كل وسيلة لاقتلاعه من أرضه ورميه خارج الحدود . ولكن مع اقتصار القوى الديمقراطية التقدمية ، تحت قيادة تيتو ، التي كانت ترفض ذلك الارهاب الموجه ضد الألبانيين ، فقد اتيح للألبانيين أخيراً في يوغسلافيا الجديدة أن يتمتعوا بحقوقهم القومية الأساسية . ومن ذلك كان يكفي أن يتمتع الألبانيون بحق تعلم اللغة الألبانية والتعبير بهذه اللغة عن أدبهم الجديد، الشيء الذي كانوا محرومين منه تماماً في العهد الملكي ١٩١٨ - ١٩٤١ . ومن هنا ليس من المصادفة ابداً أن تبرز فوراً في هذا الأدب الجديد خلال الخمسينات الوثائق الجزائية التي تعبر عن تضامن الألبانيين مع اخوانهم الجزائريين في كفاحهم لأجل الحرية والاستقلال،

وهو الشيء الذي كان له مغزاه بطبيعة الحال بالنسبة الى الألبانيين
في يوغسلافيا •

وفي منتصف الستينات « ١٩٦٥ - ١٩٦٧ » لا نستغرب في هذا
السياق ما نجده من بروز للسوتيفات الفلسطينية في محل الموتيفات
الجزائرية ، بعد أن أحرز الجزائريون حريتهم واستقلالهم • وقد
كان لهذا التحول أيضاً مغزاه • فقد كان الألبانيون حينئذ ١٩٦٦
قد تحرروا من « القبضة القوية » ، التي هي تعبير يوغسلافي عن
« دولة أجهزة الأمن » بقيادة أ. رانكوفيتش التي كانت تتحكم في
الواقع بالدولة الشرعية التي كان يمثلها في الخارج تيتو ، وأصبحوا
منذ ذلك الحين يتسعون بوحدة فدرالية متساوية مع بقية الوحدات
الفدرالية السبع في يوغسلافيا • وبالإضافة الى هذا تجدر الإشارة
الى الموقف المبدئي للرئيس تيتو من القضية الفلسطينية ، الذي ساهم
في خلق مناخ مؤيد للفلسطينيين في يوغسلافيا • ومع ذلك يمكن القول
بحرية أن أي أدب في يوغسلافيا لا يمكن أن يقارن ، من حيث انتشار
الموتيفات الفلسطينية ، مع الأدب الألباني • ان هذا يدل على ان
الألبانيين ، مع أنهم يتمتعون الآن بالحرية والمساواة ، ما زالوا يشعرون
بأحاسيس خاصة إزاء الفلسطينيين لأنهم قد خبروا بأنفسهم « المصير
الفلسطيني » خلال سنوات ١٩١٨ - ١٩٤١ •

• يتميز الأدب الألباني في يوغسلافيا من حيث أن الموتيفات الفلسطينية
تنتشر في كل اتجاه ، إذ انها تواجهنا في الشعر كما في النثر ، ونجدها
في شعر الأطفال كما نجدها في شعر الكبار ، ونجدها في قصائد
الشعراء الشباب كما نجدها في قصائد الشعراء المعروفين • والأكثر
من هذا ان الموتيفات الفلسطينية نجدها حتى في الشعر الذي يكتبه

الأطفال في جرائمهم ومجالاتهم ، وهكذا لدينا في هذا الأدب ما يشبه « السيل الشعري » : أحياناً يسيل بهدوء وأحياناً بعنف ، إلا أن منبعه لا ينضب أبداً . وفي هذا « السيل الشعري » لدينا إبداعات متفاوتة بطبيعة الحال طالما أنها صدرت عن أجيال مختلفة في لحظات مختلفة . فلدى الشعراء الشباب لدينا أحياناً أو غالباً صياغات شعرية للحدث اليومية ، للمآسي المؤثرة التي تحدث من حين إلى آخر في الجانب الفلسطيني ، ولردات الفعل التي لا يمكن أو لا تريد أن تنتظر طويلاً . وبعبارة أخرى لدينا هنا « شعر فلسطيني » لا يختلف كثيراً عن شعر « الرومانسية الثورية » الذي يبدعه بعض الشعراء الفلسطينيين . ولكن في الجانب الآخر ، لدى الشعراء الكبار بحيث ترفع مأساة الشعب الفلسطيني إلى المستوى الانساني باعتبارها مأساة تقلق كل إنسان يستع بضمير .

طالما أن الموتيفات الفلسطينية تنتشر بهذا الشكل في الأدب الألباني فليس من السهل بطبيعة الحال التعريف بها في مجال محدود كهذا . وفي هذه الحالة لا بد من الاختيار ، في مجال الشعر مثلاً ، وحتى بين قصائد الشعراء المعروفين الذين نجدهم عادة في المختارات التي تمثل الشعر الألباني Enver Gjerqeku ١٩٢٨ ، الذي كان ممن عايشوا كل التحولات التي لحقت يوغسلافيا . وكان هذا الشاعر قد كتب قصيدة عن تل الزعتر وشارك بها في « مهرجان الشعر الثوري » في جنوب يوغسلافيا خلال ١٩٧٩ قبل أن تنتشر في عدة مجلات ومختارات . وفي هذه القصيدة الطويلة يرسم جرتشيكو بحزن بالغ كأي فلسطيني مرارة الوضع الفلسطيني ولكن سرعان ما يأخذ منه الرمز بالنسبة للمستقبل الفلسطيني :

تل الزعتر
انت شاطئ بحر دون نهاية
دون صخور ، دون رمال ،
انت وطني المصغر
الذي ترسمه أصابع وإيادي الاطفال
المشوهين بالنابالم •
انت من اكثر الأغنيات حزناً
التي تقنى للطفل
المولود بين الحب والحقد
للطفل الذي لم يتعلم بعد نطق اسم امه •
انت السورة الاولى والاخيرة
لقرآن جديد ،
لقرآن محفور على الجماجم ••

ومن الشعراء المعروفين الذين كتبوا عن فلسطين لا بد أن نذكر
المرحوم آدم غيطاني Adem Gajtani « ١٩٣٥ - ١٩٨٢ » ، الذي
كتب عدة قصائد عن فلسطين وعن الفلسطينيين • وفي قصائد هذا
الشاعر نجد كل شيء يتميز بلون فلسطيني ، أو ان كل ما يخص
فلسطين والفلسطينيين له بالضرورة لون خاص يميزه عما عداه في
العالم • ففي قصيدة « حب فلسطيني » مثلاً نجد أنه حتى الحب
بالنسبة للفلسطيني يختلف عن حب الآخرين ، بل ان الفلسطيني لا
يمكن أن يحب سوى فلسطين ولذلك لا يمكن أن يحب سوى فلسطين
ولذلك لا يمكن أن يحب كما يجب أية امرأة قبل أن ينتهي من حبه
الأكبر .:

لا ،

ليس لدي وقت
للقبلات ،
والنظرات
الرفاق ينتظروني
تحت زهرة الدم ،
ليس لدي وقت للهمسات
ولنصوء القمر ..

وفي هذا السياق الذي يصطبغ فيه كل شيء فلسطيني بصبغة
متميزة تبدو قصيدته الأخرى « رثاء أم فلسطينية » :

يا فلسطين ،
لن ينتزعك احد من حلمنا
لا الليل ولا الطاعون
الآن استريح على صدري الأسود
واحلمي بطائرة العودة .
روحك الآن في كفي الحمراء
يا زهرة قطعت بمنقار غراب ،
لا الليل ولا الطاعون
سينتزعانك من حلمنا ...

والدينا قصيدة أخرى تحمل هذا الواقع - الرمز الفلسطيني ، أي
الأم الفلسطينية ، ألا وهي قصيدة « حكاية أم فلسطينية » . للشاعر

يعقوب سرايا Jakup Caraja ١٩٣٥ ، حيث يتداخل فيها الماضي مع
الواقع والمستقبل بشكل أخاذ :

في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تنشأ بعد
أحدهم أصبح يلفظ أمي
والثاني أصبح يعرف ما يعني هذا الاسم ومالا يعني
أما الثالث فاصبح في وسعه أن يحميني
وأنا أصبحت للبكاء فقط
ولكن الآن يقولون لي بالسنتهم وعيونهم :
أماه ، يا أماه ، غني ولا تبكي
غني للمقاومة
التي ستحيينا وننقلنا .

ومن ناحية أخرى نجد الشاعر محمد كرفيشي Muhamed Kerveshi
١٩٣٥ في قصيدة « فلسطين » يرى أحمود درويش الليل كرمز
للتبشير بالنهار طالما أنه لا بد أن ينجلي بحكم قوانين الطبيعة :

النار تمتد على دروبك الطويلة
ألا ان النجوم ترشد الليل الى طريق عودته
أحصنة طروادة الباهتة تحني رؤوسها
والضباب في أعينهم المفلقة
يرقص رقصة فراقهم الباردة .

ومن الشعراء الذين كتبوا كثيراً عن فلسطين بدري هيسا
Bedri Hysa ١٩٣٥ التي تمثل حالة من الذوبان في الذات
الفلسطينية + ففي لوحة شعرية مكثفة بعنوان « فلسطين » يعبر هيسا
عن هذه العلاقة الخاصة التي تربط ما بين فلسطين والفلسطينيين
ببساطة وعظمة في آن واحد :

بين فلسطين والفلسطيني عشق

يفوق كل عشق

بين فلسطين والفلسطيني حب مجنون

ربط بينهما على مر القرون

وعلى الرغم من كل ما حدث حتى الآن

لن ترمع فلسطين بعد

ولم يرمع الفلسطيني الى الآن +

وفي قصيدة أخرى بعنوان « متى سيأتي فصل الربيع » يسجنا
هيسا وراءه لتخيل ماذا يعني ذلك اليوم الذي ستفرح فيه فلسطين
أخيراً ، بل الذي ستكون فيه أسعد بلد في العالم :

حين يأتي ذلك الفصل

فصل الربيع

مرة وإلى الأبد

أيتها الغالية والمقدسة

للقرابين الكثيرة

وللعمالة

وحين يلتقيان
ويتعانقان
فلسطين والفلسطينيون
الفلسطينيون وفلسطين
وتشهق فلسطين
ويبكي الفلسطينيون
من بحر دموع الفرح
ومن بحر اللوعة
ستكون فلسطين أسعد بلد في العالم
آه يا فلسطين ، متى سيأتي ذلك الربيع

وبالاضافة الى أمثال هذه القصائد التي تحتزن الموثقات الفلسطينية،
التي لا يمكن التعريف بها في مجال كهذا ، لدينا عدة قصائد مطولة
تقترب من الملاحم ، حيث ترتفع فلسطين الى مستوى متميز يعبر عن
الهم الانساني برؤية فنية خاصة ذات قيمة كبيرة . ومن هذا لدينا
عمل بشير موصلي Beqir Musliu ١٩٤٥ « آه يا فلسطين » الذي
يمتد عبر مئات الأبيات . وفي هذا العمل نجد أن الشاعر موصلي يربط
بشكل ناجح بين الادعاء الحديث للشرعية اليهودية على فلسطين
بادعاء أقدم ، ألا وهو الشرعية اليهودية على سلالة آدم وحواء ،
ولذلك يقوم الشاعر هنا بفرز جديد بين ذريتين لأدم وحواء - ذرية
شرعية لـ « آدم البريء وحواء المقدسة » وذرية أخرى غير شرعية
لـ « آدم الخاطيء وحواء المذنبه » :

يا أبناء آدم الخاطيء وحواء المذنبة
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا ؟
ننبعث الموت
الذي حملناه على ظهورنا عبر العالم .
ماذا حل بكم
يا أبناء آدم وحواء

من اين جئتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
كنتم الماء على رؤوس الأصابع
وتحت الأظافر منذ آلاف السنين
كنتم حملا لا يطاق على ظهر كل انسان
وما زلت تبحثون عن الظلال الفاتمة
التي تجدونها فينا
نحن أبناء آدم البريء وحواء المقدسة .

وعلى نمط آخر لدينا قصيدة طويلة من مئات الأبيات بعنوان
« فلسطين » للشاعر عمر شكريلي Ymer Shkreli ١٩٤٥ الذي يصور
فيها بشكل مؤثر « الوطن » الفلسطيني الذي لا نجد له مثيلا في
العالم :

نحن مثل الطيور المحنطة ،
ليس لها تراب تمسه بأقدامها
وليس لها ارض خاصة باسمها
فوطنها الريح والزقزقة

نحن لنا لساننا وعيوننا
نحن مثل الطيور
التي تطير في عكس الرياح
والرياح لا تتوقف للحظة .
نحن أيضا ليس لنا اعشاش ،
واعشاشنا الانقاضي المفجعة
وسماؤنا دخان البارود
نحن لا نعيش فوق الارض للموت
ففي الموت يسكن اطفالنا
نحن لا نملك شيئا الا السماء،
ففي السماء لنا الحقول والبيادر
لنا قطرات المطر وقنابل المدافع
في السماء يصفر لنا الرصاص
بانسيم الغناء والشتاء
نحافظ على العظام والبنادق
لنبني بها البروج والحصون
..... (1)

(×) القى هذا البحث تحت عنوان « الموتيمات الفلسطينية في
الشعر الألباني » Motivet palestineze ne poezine shqipe

في الندوة العلمية التي نظمها « معهد الدراسات الألبانية
Instituti albanologjik حول الأدب الألباني في مدينة بريشتينا ، عاصمة
أقليم كوسوفا اليوغسلافي في نيسان ١٩٨٤ »

(١) هذه النماذج ، بالإضافة الى نماذج أخرى ونبت عن الشعراء ،
يستطيع القارئ أن يجدها في اللغة العربية ضمن « مختارات من
الشعر الألباني المعاصر » ، الذي صدر لنا عن اتحاد الكتاب العرب في
دمشق خلال ١٩٨١ »



مَعْرِىُ الْمَفْرَدَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ الْأَلْبَانِيَّةِ

نموذج رواية — بدأ العنب ينضج —

ينتشر الوم استعمال اللغة الألبانية في عدة دول بلقائية . فهي تعتبر لغة قومية في ألبانيا ، واللغة الثانية من حيث عدد الناطقين بها في يوغسلافيا بعد اللغة الصربوكرواتية ، بالإضافة الى انها لغة الأم للآلبانيين في الدول المحيطة ، في تركيا واليونان وايطاليا ، حيث ينتشر أكثر من ثلاثة ملايين ألباني .

واليوم يزداد الاهتمام أكثر باللغة الألبانية في وسط الباحثين الذين يخرجون من حين الى آخر بنتائج جديدة ومثيرة (١) . ومن المعروف أن اللغة الألبانية من أقدم اللغات في البلقان وفي أوروبا ، وتعتبر من اللغات النادرة التي بقيت على قيد الحياة بعد أن عاشت مختلف عصور التاريخ . وتتميز اللغة الألبانية في انها امتصت الكثير من مفردات اللغات الأخرى ، لغات الحضارات الأقوي التي كانت تسود الواحدة بعد الأخرى ، وتحولت بهذا الى شاهد حي

على مختلف التغيرات الحضارية التي حدثت في المنطقة * ففي هذه اللغة نجد مثلاً شريحة يونانية ، مفردات من اللغة اليونانية القديمة وأخرى من الجديدة ، ثم شريحة لاتينية - رومانية - إيطالية ، وأخيراً شرقية « عربية ، تركية ، فارسية » * .

وعلى الرغم من الفاصل الجغرافي بين الناطقين باللغتين ، العربية والألبانية ، فقد كانت اللغة الألبانية حتى السنوات الأخيرة تتميز على الصعيد الأوروبي بوفرة المفردات العربية بشكل يلفت النظر * ولقد كنا قد أشرنا قبل عشر سنوات الى هذه المفردات باسمها في مقالة لنا (٢) . بينما كانت هذه المفردات تدخل لدى كل من عمل في هذا الاتجاه ضمن ما يسمى « التركيبات » (٣) * وفي هذه المناسبة نشعر انه لا بد من تصحيح هذه التسمية لأن الأتراك قد حملوا معهم الى البلقان قسماً من المفردات العربية ، ولكنهم لاحقاً شجعوا انتشار العربية في البلقان وبهذا أتاحوا المجال للتواصل المباشر ، بينما وصل قسم آخر عن طريق الأوربيين الغربيين الذين احتسكوا بالعرب * والإهم من هذا ان المفردات العربية قد دخلت اللغة التركية عن طريق اللغة الفارسية أيضاً ، ومع ذلك لا يطلق عليها طبعاً « المفردات الفارسية » بل تبقى مرتبطة بأصلها ، أي باللغة العربية (٤) * .

لقد كان الأتراك العثمانيون قد اقتحموا البلقان في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وفي النصف الثاني من ذلك القرن كانوا قد أصبحوا على وفاق مع بعض الألبانيين بينما بقوا على عداوة مع البعض الآخر (٥) * وبعد قرن فقط كان الأتراك العثمانيون يسيطرون على كل الأراضي الألبانية بينما كان الألبانيون قد أخذوا باعتماد الاسلام تدريجياً * وبعد قرن آخر ، في النصف الأول للقرن

السادس عشر ، كان العثمانيون قد توسعوا جنوباً نحو سوريا ومصر والعراق والجزيرة العربية وشمال أفريقيا ، وضمن هذه الدولة الجديدة اختلط الألبانيون مع العرب حتى بداية القرن العشرين .

ولا شك هنا في أن المفردات العربية ، ولأسباب سنشرحها حقاً ، قد انتقلت أولاً عبر الأتراك منذ بداية احتكاكهم بالألبانيين . ولكن فيما بعد أصبح للألبان علاقتهم المباشرة باللغة العربية وبالعرب ، واستمرت هذه العلاقة عدة قرون فساعدت بدورها على زيادة المفردات العربية في اللغة الألبانية . فمع انتشار الإسلام انتقلت فوراً للألبانية مفردات كثيرة تتعلق بالدين ، وأخذت اللغة العربية تنتشر تدريجياً هنا بواسطة الكتائب والمدارس الشرعية ، وحتى هنا فقد كانت الدروس في البداية تجري في اللغة التركية ، ولكن اللغة العربية أخذت تحل محل التركية ابتداء من القرن السادس عشر (٦) .

ومن ناحية أخرى كانت قد امتدت عدة جسور متينة لترتبط منذ ذلك الحين الألبانيين بالعرب ولغتهم وأدبهم وثقافتهم المادية والروحية . ففي وجودهم ضمن دولة واحدة خلال أربعة قرون أصبح الألبانيون يترددون دائماً على البلاد العربية للحج والدراسة والتجارة والخدمة العسكرية الخ .

كان الأتراك العثمانيون قد حملوا معهم الى البلقان حضارة جديدة تماماً ولذلك كان من الطبيعي أن تنتقل فوراً الى الألبانية المفردات الجديدة المتعلقة بهذه الحضارة ، وبالتحديد نظام الدولة الجديدة والدين الجديد . ومع انه لا يوجد لدينا نصوص ألبانية من ذلك الوقت (٧) ، إلا أننا نفترض هنا أن يكون الألبانيون قد تعرفوا

أولاً على ما يخص المملكة memleket الجديدة التي أصبحوا يعرفون
 حدودها hudut « سلطان sultan ، صدر أعظم sadriazem
 وزير vezir ، والي vali ، وكيل veqil ، ضابط
 zapit : قاضي kadi ، خراج haraxh حكومة
 hyqymet ، كاتب qatib ، اعلام ilam ، دلال delat
 جلد xhelat الخ » ، وهي المفردات التي بقيت في الألبانية حتى
 يومنا هذا تقريباً ، أما أهم اختراق للمفردات العربية في اللغة الألبانية
 فقد حدث مع انتشار الاسلام حيث لم يكن هناك بديل فوري للمفردات
 الجديدة : الله Allah ، جامع xhami منارة minaret ، شيخ
 فرض ، امام imnam خطيب hatib مفتي mufti
 farz shah ، سنة synet الخ .

وفي وقت لاحق ، ابتداء من القرن السادس عشر ، ازدادت
 وترسخت المفردات العربية في الألبانية مع استعمال الحروف العربية
 كأبجدية جديدة للغة الألبانية ، ومع بروز الحركة الشعرية الجديدة
 التي كانت في الواقع نتاجاً لتشرق الألبانيين ، أي لارتباطهم بالشرق
 عوضاً عن الغرب . فمع هذا الانعطاف أصبحت النصوص الأدبية
 الألبانية تمتع مزيداً من المفردات العربية ، وخاصة في المجال
 المتعلق بالتصوف ، حتى ان عدد المفردات العربية في هذه النصوص
 أصبح يتجاوز مفردات أية لغة أخرى (٨) .

لقد كانت اللغة العربية أحد المصادر التي استمد منها قاموس اللغة الألبانية مئات المفردات • وفي الواقع لقد استمد القاموس الألباني عدة مئات أخرى من المفردات التركية ومثلها من اليونانية ، بينما استمد أكثر من ذلك من اللاتينية • ولكن على الرغم من ذلك تتميز هذه المفردات ، ومنها العربية بطبيعة الحال ، في أنها قد تراكمت في القاموس الألباني دون أن تؤثر في جوهر اللغة الألبانية ، أي في القواعد الألبانية التي بقيت تحتفظ بأصالتها القديمة •

كأن مصير المفردات العربية في اللغة الألبانية يرادف أيضاً تحولات عميقة في الوسط الألباني • ففي نهاية العهد العثماني نمت الحركة القومية الألبانية التي كانت تسعى الى اللحاق بالغرب ، وشهدت السنوات الأخيرة للعهد العثماني صراعاً حاداً حول الأبجدية بين أتباع الحروف العربية وأنصار الحروف اللاتينية • وفي هذه الظروف اندلعت في خريف ١٩١٢ الحرب البلقانية لتنتهي بالحكم العثماني في هذه المناطق ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى التي خلفت وضعاً جديداً في المنطقة • ففي هذا الوضع انقسم الألبانيون بين الدولتين الجديدتين ، بين ألبانيا ويوغسلافيا ، حيث بقي الجنوب الألباني مع ألبانيا بينما أصبح الشمال في إطار يوغسلافيا (٩) •

لقد كان هذا التقسيم في الواقع ترسيخاً تقريباً للحدود بين لهجتين واتجاهين • ففي ألبانيا كانت تسود اللهجة الجنوبية «التوسك» بينما كانت تسود في يوغسلافيا اللهجة الشمالية «الغنيغ» وفي ألبانيا كانت الحروف اللاتينية قد أصبحت هي الأبجدية الوحيدة منذ ١٩١٨ وأخذت منذ ذلك الحين تتلاشى المفردات العربية من اللغة الألبانية الفصحى ، بينما استمرت لسنوات أكثر في القاموس الشعبي •

أما في الشمال في يوغسلافيا ، حيث كان الألبانيون يتعصبون أكثر للحروف العربية ، فقد اختلف الوضع نتيجة لظروف أخرى * ففي يوغسلافيا الملكية « ١٩١٨ - ١٩٤١ » منع الألبانيون من التعلم في لغتهم القومية ولذلك انفصلوا تماماً عن تطور اللغة والأدب في الدولة المجاورة - ألبانيا بحيث لم يبق لهم إلا بقايا العهد العثماني - الكتاتيب والمدارس الشرعية الإسلامية * وهكذا فقد حافظ الألبانيون في الشمال ، نتيجة لهذه المفارقة ، على صلتهم باللغة العربية والحروف العربية . ومع هذا على المفردات العربية التي كانت تزخر بها لغتهم *

خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ - ١٩٤٤ وجد الألبانيون أنفسهم في دولة واحدة - ألبانيا الكبرى - حيث عاد التواصل بين الشمال والجنوب . وحيث افتتحت في الشمال لأول مرة مدارس تعلم الألبانيين اللغة بالأبجدية الجديدة - اللاتينية * وقد استمر هذا الوضع في الشمال الذي أصبح ثانية ضمن يوغسلافيا ، الجمهورية الآن ، حيث تلاشت تدريجياً تقاليد الكتابة بالحروف العربية لصالح لغة قومية موحدة وأدب واحد بين الشمال والجنوب *

لقد كانت المفردات العربية تبدو بوضوح في القاموس الشعبي الألباني وفي الأدب الألباني المكتوب بالحروف العربية ، ولذلك فقد كان من الطبيعي أن تعيش هذه المفردات في يوغسلافيا أكثر بكثير * فلقد أدى منع التعليم باللغة الألبانية في يوغسلافيا الملكية ١٩١٨ - ١٩٤١ ، ومنع استيراد الكتب الألبانية من ألبانيا المجاورة ، إلى أن تشبث الألبانيون بما بقي لديهم ، أي الأدب الشعبي أو الأدب المكتوب بالحروف العربية ، وهذا جعل المفردات العربية حية أيضاً في اللغة اليومية *

في العقد الأول من يوغسلافيا الجمهورية ١٩٤٤ - ١٩٥٤ بدأ التحول يبدو في اتجاهين متوازيين مع بروز الجيل الأول من المثقفين الألبانيين : التحول من الأدب الشعبي الشفهي الى الأدب المكتوب ، والتحول من الادب المكتوب بالحروف العربية الى الأدب المكتوب بالحروف اللاتينية ، التي كانت قد أصبحت في ألبانيا أبجدية قومية خلال فترة الانقطاع عن العالم ١٩١٨ - ١٩٤١ . وهكذا برزت في تلك السنوات ١٩٤٤ - ١٩٥٤ المحاولات الأولى في الشعر والقصة والمسرحية ، ونشرت سنة ١٩٥٣ أول مجموعة شعرية في اللغة الألبانية للشاعر أسعد مكولي . وفي هذين الاتجاهين أخذت تنقلص نسبة المفردات العربية بينما استمرت على ما هي عليه في القاموس الشعبي لسبب بسيط ، إذ ان غالبية الألبانيين في ذلك الوقت كان قد فاتها التعليم في المدارس وأصبحت أمية مع مرور الوقت (١٠) .

في ١٩٥٧ اكتمل هذا التحول من الأدب الشعبي الشفهي الى المكتوب عندما صدرت أول رواية ألبانية « بدأ العنب ينضج » للكاتب سنان حساني (١١) . وفي الواقع ان تأخر هذا التحول ، وتأخر صدور أول رواية الى تلك السنة ، انما يعبر في ذاته عن مدى العزلة التي فرضت على الألبانيين في يوغسلافيا لأن الأدب ، سواء في ألبانيا المجاورة أو حتى في يوغسلافيا ذاتها ، كان قد قطع شوطاً كبيراً من التطور . وعلى اكل حال ان هذه الرواية تهمنا بشكل خاص كمصدر عن مصير المفردات العربية في اللغة الألبانية . فقد كانت هذه الرواية تؤرخ نقطة فاصلة بين عهدين ، بين عهد الأدب الشعبي والأدب المكتوب بالحروف العربية وبين عهد الأدب الجديد المكتوب بالأبجدية اللاتينية . فقد كان العهد الأول يتميز بوفرة المفردات العربية

في اللغة الألبانية ، سواء في القاموس الأدبي أم الشعبي . بينما أخذت هذه المفردات تتلاشى بسرعة في العهد الثاني ، في القاموس الأدبي أولاً ثم في القاموس الشعبي تدريجياً . ولكن نظراً لأن المؤلف من الجيل المخضرم فقد كان من الطبيعي أن نجد في الرواية بصمات العهد السابق ، ولذلك ليس من المستغرب أن تغص هذه الرواية أيضاً بالمفردات العربية . وبعبارة أخرى لقد كانت هذه الرواية ، وعلى الرغم من المفردات العربية الكثيرة فيها ، تمثل بداية التخلي عن المفردات العربية للحاق باللغة القومية وبالأدب القومي في ألبانيا .

إن هذه الرواية تستعرض بالمناسبة المواجهة بين القديم والجديد وتبشر في النهاية بانتصار الجديد . وفي الواقع إن هذا ينطبق على الروايات اللاحقة ، سواء التي نشرها سنان حساني أو غيره من الروائيين اللاحقين . فحتى لو أخذنا بقية روايات حساني لوجدنا أن المفردات العربية قد انحسرت من الحد الأعلى إلى الحد الأدنى الموجود في قاموس اللغة الفصحى الأخير الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٨٠ ، أي في السنة التي صدرت فيها آخر رواية لحساني .

لقد نشرت الرواية الأولى « بدأ العنب ينضج » سنة ١٩٥٧ ، أي أننا نحتفل الآن بالذكرى الثلاثين لصدورها ، وفي هذا إشارة إلى المسافة الواسعة التي أصبحت تفصلنا عن لغة الرواية . لقد نشر حساني هذه الرواية حين كان الجيل الأول من الألبانيين قد تخرج في المدرسة الثانوية ، وتحول إلى جيل معلمين ليعلم الأجيال الجديدة ، ولذلك نجده يضطر أن يضع في نهاية الرواية قائمة بالمفردات العربية التي استخدمها في الرواية مع ما يقابلها من المفردات الألبانية الجديدة .

هل كان يعني هذا ان المفردات العربية أصبحت تحتاج الى تفسير بين جيلين ، بين جيل المؤلف والجيل الجديد ؟ ربما ، ولكن كل تلك المفردات كانت لا تزال تستخدم وقتئذ في القاموس الشعبي واستمرت تستخدم الى فترة قريبة * ولكن ما يثير هنا في هذه القائمة انها لا تضم كل المفردات العربية المستخدمة في الرواية : بل حوالى نصفها فقط ، وحول هذا لا نجد تفسيراً سوى ان المؤلف قد وجد ان بقية المفردات لا تحتاج الى تفسير لأنها لا تزال شائعة ومستخدمه ، أو أن تلك المفردات كانت شائعة الى حد كان من الصعب فصلها وقتئذ عن القاموس الألباني *

وعلى كل حال نعود هنا الى التأكيد على قيمة هذه الرواية التي حفظت لنا ما كان يستعمل من مفردات عربية قبل ٣٠ سنة في القاموس الأدبي * وهنا تجدر الإشارة الى أن المفردات العربية كانت في ذلك الوقت أكثر بكثير مما ورد في هذه الرواية ، وقد استشرت بعد ذلك التاريخ في القاموس الشعبي فقط ، ولا يزال الكثير من هذه المفردات يستخدم الى اليوم في الحياة اليومية في الريف والى حد ما في المدن *

في هذه الرواية نجد ان المفردات العربية تشمل الأسماء والمسميات التي تتناول مختلف الجوانب المادية والروحية * وحول هذه يلاحظ هنا ، كما أشرنا الى ذلك في البداية ، ان هذه المفردات قد استقرت فقط في القاموس الألباني أي انها لم تدخل في عنق اللغة الألبانية « القواعد » *

ولكن يلاحظ من ناحية ثانية وجود عبارات عربية أيضاً وليس مجرد مفردات متفرقة * فمن هذه العبارات لدينا ما يدل على التعجب

« ماشاء الله » mashalla أو على الوعد « انشاء الله »
 ishalla والقسم vallahi والتحيات « السلام عليكم » salam alejkum
 والفراق « الوداع ياوطن » elvida vatan و « الوداع يا دنيا »
 elvida dunja الخ . وبشكل عام تستخدم هنا المفردات العربية
 في معناها الشائع عند العرب باستثناء بعض الحالات التي يطرأ فيها
 تغيير طفيف في المعنى . ففي بعض الحالات ، كما في هذه الرواية ،
 تستخدم صيغة الجمع بمعنى المفرد مثل « أولاد » evlad
 للدلالة على ولد ، وفقراء fukara للدلالة على فقير الخ . أما
 فيما يتعلق ببقية الحالات فلدينا في هذه الرواية أيضاً بعض النماذج
 الشائعة في اللغة الألبانية ، التي قد يكون من المفيد التوقف عندها :

— محبة muhbet يقصد بها هنا حديث المحبة ، وبالتحديد
 الحديث الذي يخص عليه صاحب البيت مع ضيوفه لكي يشعرهم بالود
 والأنس في ضيافته .

— نفقة nafake تعني هنا ما كتبه الله للإنسان في حياته ،
 وتشمل هنا مع الزوجة التي قدرها الله لكل إنسان . ولذلك يقال
 هنا « لكل إنسان نفقته » أي قدره الذي كتبه الله له بما في ذلك
 الزوجة التي سيتزوجها في يوم ما ، ومن هنا يقصد بـ « النفقة »
 الزوجة بمعنى الجزء من الكل .

— إدارة idara تستعمل هنا ، في اللغة الألبانية ، بمعنيين بينما
 لا تستعمل إلا نادراً بالمعنى الحديث المتعارف عليه . ففي المعنى الأول
 يقصد بها الوضع الاقتصادي — الحياتي للفرد أو للعائلة
 ((Me idara asht ma mire se une)) وبهذا المعنى وردت في الرواية

« ص ٢٥٧ » * أما فيما يتعلق بالمعنى الثاني فتستخدم بمعنى التدبر في المعيشة * فعندما يقول الألباني ((Po boim idare)) فهو يقصد « اتنا تتدبر أمورنا بشكل ما » أو كما يقال « ما شئى الحال » *

— مسافر mysafir في اللغة الألبانية تعني الضيف : وقد وردت عدة مرات بهذا المعنى في الرواية * ولا شك أن الظروف والعادات قد ربطت هنا بين المعنى الأصلي والمعنى اللاحق * ففي القرون السابقة. ومع قلّة الطرق المأمونة ، كان كل مسافر يعتبر من حقه إذا أتى به الطريق أو خشي على نفسه من الظلام ، أن يطرق باب أول بيت حيث يستقبل كضيف * ويكفي هنا ، حسب العادات ، أن يطرق الباب ويقول : « هل تريدون مسافرين (ضيوف) ؟ » ، ينسا يجيبه صاحب البيت بالعبارة التقليدية : « كيف لا ، تفضل ! » * وعلى الرغم من تغير الظروف فقد بقيت عبارة « مسافر » mysafir تستخدم في الألبانية بمعنى ضيف ولا يوجد الآن بديل عنها في اللغة النصحي *

والآن ، بعد هذه الملاحظات ، نعود الى الرواية لنستعرض المفردات العربية كما وردت بالتدريج ابتداء من الصفحة الأولى ، التي تحتل في الطبعة الثالثة الصفحة ٤٥ نظراً لأن الصفحات ٧ — ٤٤ تحتوي على مقدمة لأحد النقاد :

— علي عباس Ali Albaz (ص ٤٥) اسم علم ، وهو من الأسماء الشائعة لدى الألبانيين وخاصة بصيغته المفردة (علي) ALi

— دف def (ص ٤٦) ويقصد به هنا حصراً الأداة الموسيقية التي أصبحت أيضاً شائعة عند الألبانيين *

— بركة bereqet (ص ٤٦) تستخدم بمعنى محصول أو غلة الأرض على الربط بين الأرض والسماء •

— جامع xhami (٤٦) ويقصد به حصرا هنا الجامع الذي يحتوي على مئذنة (منارة) ، أما الذي لا يحتوي على مئذنة فيطلق عليه (مسجد) mesxhid •

— فرض farz (ص ٤٦) يستعمل هنا بمعنى الفرض الديني فقط •

— جهنم xhehenem ص (٤٦) •

— حسن Hassan ص (٤٧) وهو من الأسماء الشائعة أيضاً •

— بسم الله bismillah ص (٤٧) تستخدم هنا بنصها العربي قبل البدء بعمل ما ، وخاصة قبل البدء بتناول الطعام •

— رجب Rexhep (ص ٤٨) اسم علم ، وكان من الشائع أن يسمى به من يولد خلال شهر رجب •

— إمام imam (ص ٤٨) وهنا لا تستخدم إلا بمعناها الضيق ، أي امام الجامع •

— سلام عليكم selam alejkum (ص ٤٨) من التحيات التي التي كانت شائعة عند الألبانيين ، والتي لا تزال تستخدم عند كبار السن خاصة في القرى •

— عليكم سلام alejkum selam (ص ٤٨) للرد على التحية •

- زيارة *zijalet* (ص ٤٩) •
- جبة *xhybe* (ص ٤٩) وهي من الألبسة العربية التي شاعت
هنا والتي يلتزم بها الشيوخ اليوم •
- راحة *rahat* (ص ٥٠) ولكن هنا تستخدم بمعنى الراحة ،
أي مرتاح •
- فائدة *sajde* (ص ٥٠) تستخدم هنا على الغالب بمعناها
الربوي •
- ترياق *terjaki* (ص ٥٠) من الريق والترياق ، وتطلق
هنا على الشخص المتعلق بشرب الشاي على الريق •
- مسافر *mysafir* (ص ٥٠) بمعنى ضيف كما سبق شرحها •
- الله *Allah* (ص ٥١) وهنا تستخدم كثيرا مع أن هناك
ما يرادفها في الألبانية *perendi* بالإضافة الى كلمة رب *zot*
- مناسب *mynasib* (ص ١٥) •
- حق *hak* (ص ٥١)
- وقت *vakt* (ص ٥١) وهنا يلاحظ ، كما في الحالات المشابهة
ان الواو العربية تقلب دائما الى ف •
- إكرام *ikram* (ص ٥١)
- إطاعة *itaat* (ص ٥١) •

— حرام *harar* (ص ٥٢) وهي تستخدم هنا بالمعنى الديني،
— قسمة *kismet* (ص ٥٢) وتستخدم هنا بالمعنى الشائع كمرادف
لنصيب؛ ما كتبه الله للإنسان في هذه الحياة •

— عمر *ymer* (ص ٥٢)

— زمان *zaman* (ص ٥٢)

— مجبور *mexhbur* (ص ٥٢) •

— والله *vallahi* (ص ٥٢) وهي من عبارات القسم الشائعة

— تسبيح *tespihe* (ص ٥٣) تستعمل هنا بمعنى جبات التسبيح
أي المسبحة •

— ماشاء الله *mashalla* (ص ٥٣) •

— أمانة *amanet* (ص ٥٣) •

— وعظ *vaiz* (ص ٥٣)

— كتاب *qitap* (ص ٥٣) ويستعمل على الغالب كمرادف
للقرآن الكريم •

— شريعة *sherijat* (ص ٥٣)

— مثلاً *mesala* (ص ٥٥)، أي على سبيل المثال •

— هجوم *hyggym* (ص ٥٥)

- حساب *hesap* (ص ٥٥)
- خيرية *Hajrije* (ص ٥٥) اسم علم
- ربابعة *Rabije* (ص ٥٦) اسم علم
- إن شاء الله *ishalla* (ص ٥٧)
- إذن *izen* (ص ٥٧)
- قدرى *kadri* (ص ٥٨) اسم علم
- فضلى *Fazli* (ص ٥٨) اسم علم
- معدن *maden* (ص ٦٣)
- حكومة *hyqymet* (ص ٣٦)
- مهمات *myhmai* (ص ٦٤) تستخدم هنا في صيغة الجمع وتعني المؤونة أو الذخيرة أحياناً للمهمات العسكرية .
- معرفة *marifet* (ص ٦٥)
- وهبي *vehbi* (ص ٦٥) اسم علم
- خاطر *haler* (ص ٧٧) تستخدم هنا في أحد معانيها فقط ، بمعنى ما تستعمل فيه العربية في القول (لأجل خاطري)
- كافر *qafir* (ص ٧٧)
- خالق *hallk* (ص ٧٨) وتستعمل هنا بمعنى الجمع والحشد من الناس ، وأحياناً تطلق كمرادف للناس .

— عادة *adet* (ص ٧٩)

— إلهية *ilahije* (ص ٨٦) ويقصد بها هنا القصيدة الدينية التي تشد في المناسبات المحددة (في المولد النبوي مثلاً)

— سبب *sebeɣ* (ص ٨٦)

— عسكر *asker* (ص ٨٧) تستخدم في صيغة الجمع ويقصد المفرد، أي عسكري

— عرض *erz* (ص ٨٧) بكر العين وبمعنى الشرف •

— إدارة *idare* (ص ٨٧) وتعني هنا الوضع الاقتصادي — المعيشي أو التدبر في المعيشة كما سبق شرحها •

— حصّة *hise* (ص ٨٧)

— مطلق *mutlak* (ص ٨٨) أي بشكل مطلق أو مطلقاً •

— أعوذ بالله •• *eudhu billahi* (ص ٨٩)

— استغفار *istikfar* (ص ٨٩)

— صحن *sahan* (ص ٩٠)

— محبة *muhebet* (ص ٩٠) ويقصد بها هنا حديث المحبة كما سبق شرحها •

— حيوان *hajvan* (ص ٩٠) •

— دنيا *dunja* (ص ٩٠)

— نفقة *nafake* (ص ١٠٥) تستعمل بمعنى القسمة والزوجة
كما سبق شرحها *

— ياربي *jarabi* (ص ١١٢) وتستخدم هنا كما في أصلها
العربي للمناجاة والدعاء *

— رحمة *rahmet* (ص ١١٢)

— بدعة *bidat* (ص ١١٢)

— شبهة *shybe* (ص ١١٢)

— إنصاف *insaf* (ص ١١٢)

— غفور *gafor* (ص ١١٤) وقد وردت هنا كصفة من صفات
الله تعالى *

— رحيم *rrahim* (ص ١١٤) وقد وردت هنا أيضاً كصفة من
صفات الله تعالى *

ومن الملاحظ هنا أن كل واحدة منهما تستخدم أيضاً كاسم علم
عند الألبانيين ، وفي هذه الرواية بالذات يلعب « رحيم » دور أحد
الشخصيات *

ويلاحظ هنا أن الألبانيين يعمدون الى التخفيف فيحذفون كلمة
عبد من الأسماء المركبة (عبد الرحمن ، عبد الباقي الخ) *

— شدة *shydet* (ص ١١٤)

— زنا *zina* (ص ١١٨) وتستخدم هنا أيضاً للدلالة على
العلاقة الجنسية غير الشرعية من وجهة نظر الدين

— حدود *hudut* (ص ١١٨)

— دعاء *dua* (ص ١٢١)

— قبول *kabull* (ص ١٢٢)

— حلال *hallal* (ص ١٣١) وهي هنا عكس الحرام بالمفهوم
الديني •

— شهرة *shehret* (ص ١٣١)

— آلة *halat* (ص ١٣١)

— فرق *ferk* (ص ١٣١) •

— دقيقة *dakika* (ص ١٣٣) أي بمعنى جزء الساعة • وتجدر
وتجدر الإشارة هنا الى انه تستخدم أيضاً ((ثائية) *sanjie*
و (ساعة) *saat* في القاموس الشعبي •

— فقراء *fukara* (ص ١٣٤) تستخدم في صيغة الجمع بمعنى
المفرد ، أي فقير •

— ملة *milet* (ص ١٣٤) تستعمل هنا بمعنى الشعب أو
الامة التي تنتمي لدين واحد ، ويقصد بها هنا الامة الاسلامية •

— باقي *Baki* (ص ١٣٩) اسم علم والأصل عبد الباقي •

- ضرر *zurar* (ص ١٣٩)
- شكر *syqyr* (ص ١٣٩)
- فاطمة *Fatima* (ص ١٤١) اسم علم
- حبس *haps* (ص ١٤٢) اسم
- شعبان *shaban* (ص ١٤٢) علم وعلى الغالب كان يسمى به من كان يلد خلال شهر شعبان *
- لذة *lezet* (ص ١٤٢) وهي من الكلمات العربية النادرة التي تشتمق منها الصفة : لذينة ولذينة *
- قصد *karst* (ص ١٤٣) ولكن هنا لا تستعمل بمعنى الهدف بل بمعنى التقصد ، أي التعمد في شيء *
- واقع *vaki* (ص ١٤٧) وهنا يقصد بها كل ما يمكن أن يحدث في الواقع *
- وطن *valan* (ص ١٤٩)
- حرف *harf* (ص ١٥١)
- دين *din* (ص ١٥١) ويقصد بها على الغالب الدين الاسلامي
- لا إله إلا الله *lailah ilalah* (ص ١٥١)
- أحمد *Ahmet* (ص ١٥٢) اسم علم

- غائلة *gajle* (ص ١٥٨)
- صورة *syret* (ص ١٦٣)
- بلوغ *bylyk* (ص ١٧٢) ويقصد بها حصرا هنا مرحلة البلوغ عند الشباب •
- عذر *yzer* (ص ١٧٨)
- انكار *inkar* (ص ١٧٩)
- درس *dcrs* (ص ١٨٠)
- بشارة *beshareet* (ص ١٨٢) وتستعمل هنا بمعنى الخبر •
- غيرة *gajret* (ص ١٨٧)
- الوداع يا دنيا *evida dunja* (ص ١٨٨)
- أقرباء *akraba* (ص ١٩٢)
- كفن *qefin* (ص ١٩٢)
- ختمة *hatme* (ص ١٩٢) ويقصد به هنا ما يقوله حصرا ختمة القرآن ، أي قراءة القرآن كله في بعض المناسبات المعينة •
- تلقين *talikin* (ص ١٩٢) ويقصد به هنا ما يقوله في العربية فوق قبر الفقيه ، وما يردده الحاضرون بعده ، عما يجب أن يجيب على أسئلة الملكين •

— جناح *uzynuh* (ص ١٩٤) بضم الجيم أي كمرادف للائم

— ضيافة *zizafet* (ص ١٩٥)

— شهادة (ص ١٩٦) ويقصد به التشهد هنا.

— صلوات *selavat* (ص ٩١٦) ويقصد به هنا دعاء
الصلوات .

— جنة *xhenet* (ص ١٩٦)

— حورية *hyrije* (ص ٢٠٠)

— قسمة *leismet* (ص ٢٠٠) وتستعمل هنا كمرادف
للنصيب .

— حمام *hamam* (ص ٣٠٤)

— تفصيلات *taksirat* (ص ٢٠٩) تستعمل هنا فقط بصيغة
الجمع ويقصد بها معنى السفر ، المصيبة او البلاء

— حيين *Ilysen* (ص ٢١٦) اسم علم

عرض حال *arzuhal* (ص ٢٢٣) أي بمعنى العريضة التي
تقدم لطلب ما

— هواء *hava* (ص ٢٢٥)

— طبق *tabak* (ص ٢٢٨) وتستعمل هنا فقط بمعنى
طبق الورق •

— حوادث *havadis* (ص ٢٣٠)

— عناد *inat* (ص ٢٣٠)

— زكاة *zeqat* (ص ٢٣٢)

— الآخرة *ahiret* (ص ٢٣٢) أي الحياة الآخرة

— جمعة *xhuma* (ص ٢٣٢) أي يوم الجمعة

— مهلة *myhlet* (ص ٢٣٣)

— خصم *hasem* (ص ٢٣٤)

— بائت *bajat* (ص ٢٣٥) وتستعمل هنا بعكس الطازج

— خرج *harxh* (ص ٢٣٥) أي بمعنى الصرف والافتاق

— مدرسة *medrese* (ص ٢٣٥) وتستخدم هنا حصرا
بمعنى المدرسة الشرعية الاسلامية

— وثيقة *vesikat* (ص ٢٤٧)

— نكاح *niqah* (ص ٢٣٩) أي كمرادف للزواج

— بلاء *beia* (ص ٢٤٢)

| | |
|--------|------------------------------------|
| شـ | sherr (ص ٢٤٤) |
| خـ | hajr (ص ٢٤٤) |
| رشيد | Rashid (ص ٢٤٤) اسم علم |
| سلام | selam (ص ٢٤٥) ويقصد بها هنا التحية |
| صبي | sabi (ص ٢٤٥) |
| خالد | Halil (ص ٢٤٥) اسم علم |
| منافق | munfaik (ص ٢٤٦) |
| عربي | arap (ص ٢٤٦) |
| رضى | riza (ص ٢٥٠) |
| خبر | haber (ص ٢٥٢) |
| قيامه | icijamel (ص ٢٥٤) أي يوم القيامة |
| أمانة | amanet (ص ٢٥٥) |
| ثواب | sevap (ص ٢٥٦) |
| دور | dever (ص ٢٥٩) أي بمعنى العصر |
| محاكمة | muhagame (ص ٢٦٥) |

— مسخرة maskara (ص ٢٦٨) أي بمعنى مهزلة

— يتيم jetim (ص ٧٢٢)

— قهر kaher (ص ٢٧٢)

— انسان insan (ص ٢٨٣) تستعمل بمعناها العربي وأحياناً كصفة للشخص ، أي إنساني •

وكخلاصة لما تقدم يمكن القول انه حتى بداية هذا القرن كانت المفردات العربية قد أصبحت وثيقة الصلة بالناطقين بها في المناطق الألبانية بعد عدة قرون من التآلف معها • وفي مطلع القرن العشرين بدأ تحديث اللغة ، أي استبدال المفردات اللاتينية بالعربية ، في ألبانيا أولاً ، منذ ١٩١٨ ، بينما بقي الوضع على ذاته لدى الألبانيين في يوغسلافيا وحتى الحرب العالمية الثانية •

وفي هذه المناسبة أخذنا كمصدر للمفردات العربية في اللغة الألبانية رواية (بدأ العنب ينضج) لسنان حساني لكونها أول رواية ألبانية ولأنها تفصل بين عهدين • فمع هذه الرواية بدأ العد التنازلي للمفردات العربية في اللغة الألبانية في يوغسلافيا أيضاً بعد أن كانت قد تلاشت تقريباً في ألبانيا • وعلى هذا الأساس نرى أن هذه الرواية تعتبر مصدراً لما كان يستعمل من المفردات العربية في وقت نشرها ، أي قبل ثلاثين سنة فقط •

إن استعراض المفردات مع تنوعها وتعدد استعمالاتها يكشف عن مغزاها في هذه الرواية وحتى بشكل أعم ، لأن الكثير منها تبوح

بالدلالات الاجتماعية التي تختزنها (حلال ، حرام ، بركة ، ثواب ، كافر ، بدعة ، منافق الخ) * ومن هنا يمكن القول ان مجرد استعراض هذه المفردات يسمح للمرء أن يأخذ انطباعاً عاماً عن طبيعة المجتمع الذي كان يعتمد على هذه المفردات في قاموسه اليومي .

وعلى كل حال لقد سبق التشديد على أن هذه المفردات الواردة لا تمثل إلا قسماً من المفردات العربية التي كانت تستخدم في الحياة اليومية في ذلك الوقت * والآن بعد ٣٠ سنة من صدور هذه الرواية، يمكن القول أن معظم هذه المفردات الواردة في هذه الرواية لا تزال في الذاكرة الشعبية مع انها قد تلاشت من قاموس اللغة الفصحى باستثناء ٥ - ٦ مفردات منها *



الهوامش

(*) نشرت الدراسة للمرة الأولى في مجلة الموقف الأدبي عدد

١٩٦، دمشق ١٩٨٧ .

(١) قد يكفي هنا أن نشير على سبيل المثال فقط الى آخر كتابين صدرتا في ايطاليا . ففي الكتاب الاول ((الحضارات المتوسطية القديمة)) معطيات عن وجود كلمات البانية في اللغة العبرية القديمة ، وهذا اوصل الى استنتاج بان الفلسطينيين القدماء ، الذين هاجروا الى ارض كنعان في القرن ١٢ ق.م وجاوروا العبريين عدة قرون ، كانوا من الالبريين القدماء ، اي اجداد الالبانيين . وفي الكتاب الثاني ((الاله توت كان يتحدث البانية)) محاولة لاستقرار الصلات الممكنة بين الالبريين والفراعنة استنادا الى تفسير الرموز الهيروغليفية بما تبقى من الكلمات الالبانية الأصلية :

Hermin Falaschi, Antiche Civiltà Mediterranee, Roma, NOI PUBBLICISTI, 1984,

Giuseppe Catapano, Thot - Tat parava albanese, Bardi editare, Roma 1984.

(٢) محمد مفاكو ، اللغة العربية في اللغة البانية ، مجلة

((المعرفة)) ، عدد ١٧٨ ، دمشق كانون الأول ١٩٧٦ ، ص ١٧٣ -
١٨٣ .

3) E . Cabej , gtudime gjuhesore , vol . III Prishtine 1978
p . 64,

Dr . Ivan popoviq Fjalet turqishte ne gjuhen shqipe, ((Per-
partimi)) No 10 , Prishtine 1956 , pp . 615 - 627 , Dr. Latif Beris-
ha, Turqizmat ne gjuhen shqipe, ((Rilindja)) , Prishtine 4 . 9
1976

4) Muhamed Mufaku, Lidhjet letrare shqiptare - arabe,
disertacion i doktorates, F . Filozofik, Prishtine 1980 , p .
102 .

وانظر أيضا :

د . حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والأتراك ،
القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٢٠ .

(٥) في معركة كوسوفا الفاصلة (١٣٨٦) مثلاً بين الجيش العثماني
وجيش التحالف البلقاني نجد ان الالبانيين كانوا في الطرفين ، قسم
يقاتل مع الجيش العثماني وقسم يقاثل ضده :

Skened Ruzaj, Kosova gjate shekujfe xv , xvi dhe xvii,
Prishtine 1982, p. 17.

Dr . Jashar Rexhepagiq, Zhvillimi i aresimit dhe i sisem-
it shkollor te kombesise shqiptara ne territorin e Jugosllavise
se stome deri me 1918, Prishtine 1970 , p. 33.

(٧) ولذلك فإن الباحث تشابي يعتبر ((الخراج)) اول كلمة عربية دخلت الألبانية لمجرد انها وردت في رسالة للزعيم الألباني اسكندر بك الى ملك صقلية ونابولي سنة ١٤٥١ . انظر :

Qabej. Studime gjuhesore, III Prishtine 1978 , p . 64

(٨) حول هذا انظر كتابنا : الثقافة الألبانية بالأبجدية العربية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٣ ، وبشكل خاص ص ٤٣ - ٤٤ .
(٩) للتوسع حول هذا انظر الفصل الأخير من كتابنا المذكور .
(١٠) هناك تفاصيل أكثر حول هذا في مقدمتنا ل :

مختارات من الشعر الألباني المعاصر ، دمشق - اتحاد الكتاب العرب - ١٩٨١ .

- u pjeke, Prishtine

الفهرس

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٥ | مقدمة |
| ٩ | جها العربي وجها الألباني |
| ٣١ | كربلاء في الأدب الألباني |
| ٦٧ | أروى العربية وأروى الألبانية |
| ٩٣ | الثورة الجزائرية في الشعر الألباني |
| ١١١ | الحضور الفلسطيني في الأدب الألباني |
| | معزى المفردات العربية |
| ١٢٥ | في الأعمال الأدبية الألبانية |

د. الأرنالوط ، محمد م . ملامح عربية اسلامية ، في الادب الالباني
دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٦٠ ص قطع ١٧ × ٢٥
الطبعة الاولى .

مطبعة اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٠ - ١٢ - ٢٠٠٠



الجمهورية العربية السورية
Ministry of Education
دمشق

To: www.al-mostafa.com